

الأصولُ العقائدية لِلنَّاسِئَةِ مُحَمَّدِيَّة

تأليف

الدكتور محمد ناصح

مكتبة الفخامري للنشر والتوزيع
السَّيْب - مسقطنة عمان

الأصولُ العقَدية
للناشئة المحمدية

الأصول العقائدية لنائلة المحمدية

تأليف
الدكتور محمد ناصر

مكتبة الفخامري للنشر والتوزيع
سلطنة عمان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

- ٢١٩٩٣

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

السَّيْب - مَسْلَطَةُ عُمَان

ص.ب ٢ الرز البريري ١٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الدافع وراء تأليف هذا الكتاب على هذا النحو المدرسي
سبيان :-

الأول : ما نراه من فشو كتب العلمانيين في أوساط شبابنا المسلم، إذ لا حافظ يحفظهم مما في ذلك المؤلفات من الزيغ والانحراف عن جادة الايمان الصحيح الا تقريب مسائل التوحيد ومبادئ العقيدة الصحيحة بأسلوب ميسر وطيقة حديثة تجذبهم الى المادة العلمية فيحفظونها ويتفهمونها ثم يختبرون ما بقي في أذهانهم منها .

الثاني : ازوارر المناهج الدراسية في أغلب البلاد العربية وربما الاسلامية عن الاهتمام بالعقيدة على العكس مما كانت عليه مناهج الدراسة قبل نصف قرن والتي توصف جهله بأنها تقليدية، فقد كانت تقتفي في ذلك مناهج السلف الصالح الذي كان حريصا الحرص كله على تنشئة التلاميذ منذ المرحلة الابتدائية على قاعدة إيمانية صحيحة ثابتة . فهم على أساسها يبنون باقي المعلومات ذات الطابع الديني من

الفروع أم ذات الطابع الدنيوي من العلوم الضرورية
الأخرى.

علما أن منهج الشريعة الإسلامية مبني أساسا على إرساء
هذه الأسس في أعماق المسلم حتى لا تحركه العواصف أو
تذهب به الرياح ذات اليمين وذات اليسار، فالقرآن الكريم
ظل مدة مزوله بمكة المكرمة يرسخ علم الأصول في نفوس
معتنقي الإسلام. ثم تحو بعد ذلك أثناء نزوله بالمدينة إلى
الأحكام.

والمتمعن في القرآن الكريم يلحظ في كل سورة وآياته أفضلية
علم الأصول على علم الفروع. وقد جاء هذا الحرص في
آيات كثيرة خاطب الله بها الأنبياء والرسل وعلى رأسهم
رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حيث خاطبه
قائلاً ﴿فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك﴾ التوجيه
أولا ثم العبادة بعد ذلك.

وقد تفتن السلف الصالح لأهمية هذا المنهج الرباني
الأصيل فعني «علماء الأمة الإسلامية عناية بالغية هذا
العلم فخصوه بالمؤلفات الجملة والبحوث الواسعة، وقد
أخذ أصحابنا أهل الاستقامة (رحمهم الله) من ذلك بحظ

وافر، فتجد في تراثهم الفكري ما لا يحصى من الدواوين
الخاصة بهذا الفن منها الطويل المسهب، ومنها القصير
المختصر، ومنها المتوسط بين هذا وذاك كما تجدهم لم يغفلوه
في كثير من موسوعاتهم الفقهية الجامعة ببيان الشرع،
ومنهج الطالبين، وبيان الشرع»^(١)

وقد توخينا في هذا المؤلف التركيز والإيجاز مراعين الطبقة
التي وجه إليها هذا النوع من التأليف، سائلين الله أن ينفع به
المؤمنين والمؤمنات، ويذخر لنا في صالح الأعمال، وميزان
الحسنات. آمين.

مسقط في : ٣ ربيع الثاني ١٤١٤ هـ

١٩٩٣/٩/١٨ م

محمد صالح ناصر

(١) الكلمة لفضيلة الشيخ أحمد الخليلي من مقدمة التوحيد وشروحها، ص ٥.

التوحيد

قال الله تعالى :

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ آل عمران / ١٨ .

وكل ما صورته ببالك فالله جلّ بخلاف ذلك
فعلم كنه ذاته محال ممّن سواه ولذا قالوا :
«العجز عن إدراكه إدراك والخوض في إدراكه إشراك»

الشيخ صالح بن عمات ١٩٢٨ .

قال الشيخ العلامة عامر بن علي الشماخي في متن
الديانات :

«ندين بأن الله واحد ليس كمثله شيء في صفته ولا في
ذات ولا في فعل ، وندين بأنه لا يرى في الدنيا ولا في
الآخرة . ، وندين بأنه استوى على العرش وعلى كل شيء
استواء غير معقول ، والاستواء صفة له لم يزل ربنا موصوفا

بها ، وندين بأنه في كل مكان بالحفظ والقدرة ، وبكونه في الأشياء ومع الأشياء بالإحاطة لها وبالزيادة والنقصان لا على الحلول والتمكن والاجتنان . وندين بأن أسمائه هو ، وأن صفاته هو ، وندين بأنه ليس ثم شيء غيره ، ولا يجري عليه العدد والتغاير والاختلاف . »

عقيدة التوحيد عند الأباضية تقوم أساسا على التنزيه المطلق للذات العلية بناء على الآية الكريمة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الشورى / ١١﴾

- ويقول أبو طاهر إسماعيل الجيطالي في تعريفه التوحيد .

" أما التوحيد فمعناه إفراد الرب سبحانه وتعالى عن الخلق وجميع معانيهم ، فحقيقة المعرفة به سبحانه أن تعلم أن الأشياء لا تشبهه ولا يشبهها في جميع الجهات في فعل ولا اسم ولا صفة ولا ذات لأنه لو أشبه شيئا من الأشياء ولو في أقل القليل لدخل عليه العجز من تلك الصفة ، فلهذا وجب على المكلف أن يعرف حقيقة الوحدانية لله تعالى ، ويصفه بما يليق به من صفات ، وينفي عنه شبه الأشياء من جميع الجهات ^(١) .

(١) قواعد الاسلام ، ص ٣٣ .

- ويقول أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجنائوني :

"إعلم إن التوحيد لا ينتفع به إلا المؤمن الموفي بدين الله تعالى ، ودين الله هو الإسلام ، والإسلام ينقسم قسمين : قول وعمل ، والقول ينقسم الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الإقرار بالله أن لا إله إلا هو ، القديم بلا بداية ، الدائم بلا نهاية ، الحي بلا تنفس ولا رطوبة ، العالم بلا تعلم ولا دراية ، التقدير بلا تكلف ولا مشقة ، المريد بلا شهوة ولا حاجة ، المتكلم بلا لسان ولا شفه ، السميع بلا أذن ولا أخمصه ، البصير بلا جفن ولا حذقه .

القسم الثاني : الإقرار بمحمد بن عبدالله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي بأنه عبدالله ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وختم به انبياءه ، وفضله على جميع خلقه ^(١) .

- وأهم مبحث في التوحيد هو صفات الله تعالى وقد كان موضوع خلاف كبير بين المتكلمين ، أما الإباضية فالصفات عندهم ثلاثة أنواع :

(١) الوضع ، ص ١١ .

أ- صفات واجبة لله كالوجود، والأزلية، والأبدية،
والحياة، والعلم.

ب- صفات مستحيلة على الله كالحديث، والعدم،
والفناء، والجهل والعجز أو مشابهة الأجسام المخلوقة.

ج- صفات جائزة لله يوصف بها حين يفعلها، ولا يوصف
بها إذا لم يفعلها لجواز فعلها أو تركها.

وتنقسم الصفات الواجبة إلى قسمين :

ذاتية وفعلية، أما صفات الفعل فهي تداخل ضدها في
الوجود عند اختلاف المحل، ومثاله : أن يهب الله للواحد
ذكرا وللآخر أنثى، أو أن يعطي العلم لفلان، ويخلق الجهل
لفلان.

وصفات الفعل قديمة أزلية كصفات الذات، فيوصف
الله بأنه خالق في الأزل باعتبار ما سيخلق، وأنه لم يزل عالما
بما كان قبل أن يكون.

أما صفات الذات كالعلم والقدرة والإرادة فإنها لا
تداخل ضدها في الوجود، ولو اختلف المحل، فلا يقال قدر

الله على فعل شيء وعجز عن فعل شيء.

وصفات الذات أمور اعتبارية لا وجود لها في ذاتها ولا في ذاته تعالى، وإنما المقصود بها نفي أضدادها المستحيلة في حق الله تعالى. فوصف الله بالعلم نفي الجهل عنه. ومعنى قول الإباضية الصفات عين الذات فإن المراد بها هو أن ذاته تعالى كافية في الاستكشاف والتخصيص والتأثير والإستلزام، فكون الله عالما بذاته يعني أن ذاته منكشف لها جميع المعلومات انكشافات ما من غير قيام صفة قديمة مقتضية لذلك الانكشاف، فالله غني عن كل معنى قديم زائد عليه قائم به للإنكشاف^(١).

- إن حرص الإباضية على التنزيه المطلق للذات العلية جعلتهم يؤولون الآيات الكريمة بما يتماشى وجلال الله، فهم يقولون بالمجاز ويعملون به، ويفسرون به القرآن فكون الله في كل مكان انما بالحفظ والقدرة، وكونه في الأشياء ومعها، على معنى العلم بها والإحاطة لها بالزيادة والنقصان لا على الحلول والتمكن.

(١) عدون جهلان، الفكر السياسي ص ٥٣.

فأليد تؤول بالقدره؁ والعين بالعلم والإدراك؁ والوجه بالوجود؁ وهكذا فاستواء سبحانه وتعالى على العرش؁ معناه الإحاطة بكل شيء؁ وقدرته تعالى على كل شيء؁ وهذا لقصر عقل الانسان عن إدراك ذات الله وصفاته؁ وهذا المفهوم يخالف مفهوم الحشوية^(١) والمشبهة المتمسكين بظاهر النص وحرفيته؁ فأثبتوا حلول الله على العرش وجلوسه عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

النشاط التقوي مي :

١- ما الاساس الذي تقوم عليه عقيدة التوحيد عند الاباضية؟

٢- كيف يعرف الشيخ الجيطالي التوحيد؟

٣- لماذا قال أبو زكريا "إعلم إن التوحيد لا يتتفع به إلا المؤمن الموفّي لدين الله تعالى".

٤- ما أهم مبحث في التوحيد؟

٥- لماذا دار خلاف كبير حول هذا المبحث؟

(١) الحشوية: طائفة من الناس يشتون قدم الحروف والأصواف وسماهم الرازي بالحمقى.

- ٦- كيف يقسم الإباضية صفاته تعالى؟
- ٧- ما الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل؟
- ٨- ما موقف الإباضية من التشابه في هذا الموضوع؟
- ٩- اذكر أهم الآراء المعتمدة عند الإباضية.
- ١٠- ما الفرق بين موقف الإباضية وموقف الحشوية وموقف المشبهة؟

النشاط الدراسي:

- ١- لو سئلت: "هل تصفون ربكم أم لا تصفونه بصفة؟"
- ماذا يكون جوابك؟
- استعن في إجابتك بما جاء في كتب العقيدة عند الإباضية.
- ٢- ما الفرق بين موقف الأشاعرة وموقف الإباضية من صفاته تعالى؟

النشاط الختامي:

- في معرفته سبحانه وتعالى :

كيف تربط بين عقيدة الإباضية فيما يجب على العبد اعتقاده نفيا واستحالة ، وبين قضية الرؤية وعدم الرؤية؟ في الآخرة .

أيد ما تذهب اليه بالادلة العقلية والنقلية .

القضاء والقدر

جاء في الحديث القدسي :

«أنا الله لا إله إلا أنا خالق الخير والشر، وطوبى لمن خلقته ليكون الخير على يديه وويل لمن خلقته ليكون الشر على يديه.»

أرده الشيخ عبد العزيز الشميني في شرح نونه أبي نصر.

وقال الشيخ محمد بن يوسف أطفيش :

وإضلال اللّٰ خذلان، وهدايته توفيق، ولا إجبار، وهما أركيَّان ولا يتخلفان.

تيسير التفسير ط ١/٥/ ص ٤٥٨

- يعتقد الإباضية أن كل شيء برضاء الله وقدره.
فالقضاء هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه، فإن كل شيء داخل تحت قضائه تعالى لأنه سابق

للأشياء .

- أما القدر : فهو علم الله بمقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، فهو الذي يوجد ما سبق في علمه أن يوجد ، فكل حادث من الأمور صادر عن علمه وقدرته وإرادته ، ويفرق الشيخ اطفيش بين القضاء والقدر بقوله :

يجب الإيمان بالقدر : وهو إيجاد الله الأجسام والأعراض ، وبالقضاء : وهو الحكم بها في الأزل ، فهو صفة ذات وأما إثباتها في اللوح فهو صفة فعل .

- وموقف الإباضية من هذه القضية الشائكة الذي كثر جدال المتكلمين حولها قديما وحديثا بين واضح يمكن ان نلخصه في العناصر التالية :

أولاً : ينبغي على المسلم الراغب في إدراك حلاوة الإيمان أن يؤمن بأن القدر خيره وشره من عند الله سبحانه وتعالى بناء على آيات وأحاديث وردت في هذا الشأن .

ثانياً : لا يقولون بأن الإنسان مخير ، أو هو كالريشة في مهب الريح العاصف فهو لا يملك من أمره شيئاً أمام قدرة

الله كما تذهب الى ذلك الجهمية^(١).

ثالثاً: لا يقولون بأن الإنسان هو خالق أفعاله لأن الله ميزه بالعقل فهو يتحرك إذا أراد التحرك، ويسكن إذا أراد السكون. وهذا ما ذهب اليه المعتزلة أو القدرية.

رابعاً: بين القدرية المدعية أن الانسان خالق لأفعاله، وبين الجبرية النافية عن الإنسان كل مسؤولية يقف الإباضية موقفاً توفيقياً قائلين:

إن أفعال العبد مكتسبة له مخلوقة لله، ومن هنا فإن الحساب ينصب على الأعمال التي اكتسبها الإنسان اكتساباً عن طريق جوارحه وإرادته الحرة. فالكسب عند الإباضية يقوم مقام القدرية عند المعتزلة، ونوضح هذه النظرية بالمثال التالي:

إن المسلم الذي يأكل يوماً من رمضان متعمداً يكون قد فعل ذلك عن طوعية وسبق إصرار، فعمله هذا صادر عن إرادة حرة. مع العلم أن الله قضى في سابق علمه أن يقوم هذا المسلم بهذا العمل عن اختيار منه. فليس هناك تعارض

(١) اتباع الجهم بن صفوان فرقة غريبة لا صيت لها. ظهرت في بداية العصر الأموي وهم الذين يقولون بالجبر وخلق القرآن واتهموا بالقول بالتعطيل في الصفات ويقولون بتأويل التشابه.

بين إرادة الله عز وجل وعلمه الأزلي القديم مسبقا وبين
كسب الانسان .

- «والإباضية كبقية الفرق الإسلامية نلمس في تراثهم إدراكهم أن قضية القدر من غوامض علم الكلام وأن الالتجاء الى تحديد جهتين للفعل الواحد : الخلق لله ، الفعل للإنسان ليس معناه الشركة وإنما هو مخرج من مضيق» ^(١) .

- ولعل أحسن ما تُفصّل به هذه المسألة الشائكة أن تبقى قضية القدر في دائرة الايمان ، وأن يوضع الفعل في دائرة الشرع ، وليجتهد الإنسان في العمل مع العلم أن كل ميسر لما خلق له .

- وانعكاس هذه النظرية على السلوك اليومي للمسلم واضح إذ لا يتواكل على أن أمره بيد الله لا يملك منه صرفا ولا عدلا ، ولا يغتر بأن تصرفاته وأعماله هي من كسبه وحده وأن لا دخل لقدرة الله فيها . وقد خلق المسلم ليكون أبدا بين الخوف والرجاء ، وقد حدد الرسول الكريم هذه النظرية في قوله للأعرابي "أعقلها وتوكل" والتسبب لا ينافي

(١) فرحات الجعيري ، البعد الحضاري ص ٨٣ .

التوكل .

- وخلاصة ما يقال في هذه القضية الحساسة ما قاله الشيخ أحمد الخليلي تعليقا على " غاية المراد " .

والقول الحق هو الذي ذهب اليه المصنف ، وهو أن الانسان فعله مخلوق لله سبحانه وتعالى ، ومكتسب من قبل العبد فتعلق بالفعل قدرتان وإرادتان .

قدرة الله تعالى الخالقة وإرادته الخالقة .

وقدرة العبد المكتسبة وإرادته المكتسبة .

وهناك نصوص في القرآن كثيرة دالة على ذلك . منها قول الله سبحانه :

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ^(١) وقوله ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٢) وقوله وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ^(٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ^(٤)

(١) الصافات/ ٩٤ .

(٢) الزمر/ ٣٩ .

(٣) النجم/ ٤٣ ، ٤٤ .

فالله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة وهما غير مُكْتَسِبَيْن للعبد، وهو أيضا خالق للضحك، والخالق للبكاء اللذين هما مكتسبان للعبد، فجميع هذه الأشياء مخلوقة لله سبحانه وتعالى ولكن للعبد قوة على الإكتساب، ويدرك العبد أن هناك إرادة تدفعه إلى فعل ما يشاء أو ترك ما لا يشاء، هذه الإرادة تصدر عن أعماق نفسه، فالله سبحانه وتعالى عندما يريد العبد اكتساب الخير يهيؤه الله له، وعندما يريد أيضا اكتساب الشر يهيؤه الله له، فهذه التهيئة هي الخلق.

النشاط الدراسي :

١ - يقول عمرو الثلاثي وهو من كتب العقيدة عند الإباضية في تعريف القضاء والقدر ما يلي :

"إن الارادة عندنا توجد مع المراد لا قبله ولا بعده، كالإستطاعة لأنها علة فيه، والعلة لا تفارق معلولها، وقالت المعتزلة قبله لا معه ولا بعده، وهي عندنا قسمان إرادة العزم، وإرادة التمني، فالأولى توجد مع الفعل، والثانية توجد قبله، وقد يتخلف المراد عنها كأن توجد هي ولا يوجد هو، لأنها ليست علة فيه، وإن إرادة العزم للشرك

والمعاصي ، إرادة خلق لا أمر ، وإرادة الايمان والطاعة إرادة خلق وأمر .

المطلوب : اشرح بأسلوبك معنى هذه الفقرات .

النشاط الختامي :

١- ما الأثر السلوكي العملي في حياة الفرد المؤمن بنظرية الإباضية بأن القدر قضاء من الله واكتساب من العبد .

- استعن في إجابتك بكتاب ، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية للشيخ فرحات الجعيري .

٢- عد الى بهجة الأنوار للشيخ السالمي رحمه الله .
ولخص ما جاء فيها عن القضاء والقدر بأسلوبك وحسب فهمك .

٣- حكى بعض أصحابنا أن واصل بن عطاء المعتزلي صاحب عمرو بن عبيد كان يتمنى لقاء ابي عبيدة مسلم ، ويقول لو قطعته قطعت الإباضية ، قال : فبينما هو في المسجد الحرام ومعه أصحابه ، اذ أقبل ابو عبيدة ومعه

اصحابه، فقيل لو اصل: هذا أبو عبيده في الطواف .

قال: فقام إليه واصل فلقيه، وقال أنت أبو عبيدة؟
قال: نعم! قال: أنت الذي بلغني أنك تقول: "إن الله
يعذب على القدر" فقال أبو عبيدة: ما هكذا قلت لكن قلت
"إن الله يعذب على المقدور" . فقال أبو عبيدة وأنت واصل
بن عطاء؟ قال: نعم! قال: أنت الذي بلغني عنك أنك
تقول: "إن الله يعصى بالإستكراه" قال: فنكس واصل
رأسه فلم يجب بشيء، ومضى أبو عبيدة وأقبل أصحاب
واصل على واصل يلومونه يقولون كنت تتمنى لقاء أبي
عبيدة، فسألته فخرج . وسألك فلم تجب؟! فقال واصل:
"ويحكم بنيت بناء منذ أربعين سنة فهدمه وأنا قائم، فلم
أقعد ولم أبرح مكاني" . (نقل عن الدرجيني، طبقات
المشايخ، ج ٢ . ص ٢٤٦ .)

حلل بأسلوب مقالتي الفقرات التي تحتها خط .

العرى والوعر والوعيد

قال تعالى :

لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ الزمر/ ٢٠

وقال تعالى :

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ
الْعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا طه/ ١١٣ .

وقال الشيخ جميل بن خميس السعدي في «قاموس

الشرعية» :

«ولعمري إن من زعم أن الوعيد في أهل الشرك
خصوصاً، لقد أباح الدماء الحرام، وأسقط الحساب
صراحاً، لأن المحارم إنما تتقى من أجل العقاب، فمن أبطل
الوعيد فقد أباحها» .

- هذا أصل من أصول العقيدة عند الإباضية دار حوله
مثل غيره جدل كثير لعلاقته الوثيقة بخلود أو عدم خلود
مرتكبي الكبيرة في النار .

- ويعرف الإباضية الوعد بأنه الإخبار بالخير كما في
قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ
الْأَفْرَدِوسِ نُزُلًا . الكهف / ١٠٧ .

- والوعيد هو الإخبار بالشر كما في قوله تعالى
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ البينة / ٦ .

- وجاء في قاموس الشريعة «الوعد هو ما وعد الله أهل
طاعته من الثواب في الآخرة وهو حق . والوعيد ما أوعد
الله أهل الكفر والمعاصي من العقاب في الآخرة وهو حق» .

- ومفهوم الوعد والوعيد قديم قدم وجود الانسان على
وجه البسيطة ولذلك بين القرآن الكريم أن وظيفة الأنبياء
والرسل تتمثل في التبشير بالثواب ، والانذار من سوء
المآب ، قال تعالى وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾
 الأنعام / ٤٨، ٤٩.

- والعدل الالهي يقتضي بأن يكون مصير أهل الوعد هو
 الخلود في الجنة، ومصير أهل الوعيد هو الخلود في النار،
 والجنة والنار باقيتان لا تفتيان، وكل من الثواب والعقاب في
 الآخرة مغاير للثواب والعقاب في الدنيا، والله سبحانه
 وتعالى صادق في وعده ووعيده وهو منفذ حكمه على
 المؤمن والكافر فيما وعد وأوعد، وعدله تعالى يقتضي إثابة
 المطيع، وعقاب العاصي، وصدقه يقتضي عدم خلفه
 لأقواله لأن كلام الله لا يبدل، وحكم الله لا معقب له،
 ثابت لا يتغير.

- والإباضية حين يعتقدون هذا الإعتقاد يبنون عقيدتهم
 على الآيات الصريحة الدالة على ذلك.

فقد قال الله تعالى في وعيده للعصاة: وَعَدَ اللَّهُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
 حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ التوبة / ٦٨.

كما قال في وعده للمؤمنين الصادقين مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولُهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
النساء/ ١٣.

- وهذه الآيات تدحض ما يذهب اليه المرجئة^(١)
والخشوية بالدليل العقلي والنقلي حيث زعمت أن الله
سيخلف وعيده لأهل الكبائر والعصاة من المسلمين ولا
يخلف وعده لهم بالجنة .

- إن الايمان بهذا المعتقد له تأثير حضاري مباشر في
سلوك الفرد المسلم فيلتزم بأوامر الله ويتجنب نواهيه ويربط
ربطاً أبدياً محكما بين العقيدة والعمل ، إذ لا فرق عنده بين
موحد يموت على المعصية وبين كافر لم يؤمن بالله أصلاً
اعتقاداً منه بأن القرآن صريح في وعيده الموحد العاصي الميت
بدون توبة بالخلود في النار كما جاء ذلك في قوله تعالى
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا
خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ النساء/ ١١ وقوله تعالى
وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا
فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا
النساء/ ٩٣ .

(١) المرجئة : منالفرق الاسلامية المتقدمة في الزمن ومن أسسهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، وطاعة
الإمام الجائر واجبة ويرون النجاة لكل المؤمنين يوم القيامة وإن ماتوا على المعصية . ويرجأ الحكم في
أمرهم الى الله . ولا شك أن من ورثها الأمويون حتى يشبوا ملكهم ويبرروا أفاعيلهم .

النشاط التقويمي :

١ - عرف العدل الالهي ؟

٢ - عرف الوعد والوعيد لغة واصطلاحاً .

٣ - هات آيات كريمة تستدل بها على وعد الله عباده الصالحين بالجنة .

٤ - هات آيات كريمة تستدل بها على وعيد الله عباده العاصين بالخلود في النار .

٥ - كيف تربط حضارياً بين الاعتقاد بهذا الاصل وبين ما يجب أن يكون عليه سلوك الفرد المسلم ؟ .

النشاط الدراسي :

جاء رجل إلى أبي الشعثاء جابر بن زيد يسأله قائلاً : يا أبا الشعثاء أرأيت قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فقال جابر : " أوأنباك الله لمن يشاء أن يغفر ؟ قال : واين أنبائي يا أبا الشعثاء ؟ قال : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ .

المطلوب : وسع هذا الحوار متخيلاً أن جابراً شرح

للسائل مقصوده من الآية الكريمة . وحدّد مكان الآيتين من المصحف الشريف .

النشاط الختامي :

١- يستخدم الفقهاء أسوة بالقرآن الكريم - لفظ "الكبيرة" ما هي الكبيرة التي توجب خلود صاحبها في النار إن مات بغير توبة؟

٢- عدد الآراء المشهورة لدى الفرق الإسلامية من قضية الوعد والوعيد .

ملحوظة : يمكنك الاستعانة بواحد من الكتب التالية :

- البعد الحضاري للشيخ فرحات الجعبري .

- الإباضية للشيخ علي يحيى معمر .

- بهجة الأنوار للشيخ السالمي .

٣- يقول بعض المعاصرين :

ما العبرة من قول بلا عمل؟ ونظريات بلا تطبيق؟

إذا لم يطابق الفعل القول، أصبح ذلك نفاقا لا ريب فيه فهل سجل لنا التاريخ صحايا اكتفى بالإندار دون العمل؟!

- المطلوب: حلل هذه المقولة، وأيد وجهة نظرك بالأدلة الشرعية.

الولاية، والبراءة، والوفاء

قال الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ المائدة / ٥١ .

قال الرسول (صلى الله عليه وسلم)

«من أحبَّ الله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله فقد
استكمل الإيمان .» .

وجاء في «متن الديانات» :

«وتدين بولاية المسلمين كافة، وبراءة الكافرين كافة
وندين بولاية الذين ذكرهم الله في كتابه أنهم أهل الجنة،
وندين ببراءة الذين ذكرهم الله في كتابه أنهم أهل النار،
وندين بولاية المخصوص الموقفي، وبراءة المخصوص
المرتكب الكبائر . . . وندين بأن الوقوف فريضة عند معرفة

الشخص الذي لم يعرف منه إيمان ولا كفر . »

- التعريف :

- **الولاية :** هي القرب والمحبة والولاء ، والرضى ، وهي : القيام للغير بالأمر والنصر ، والإهتمام بالمصالح . والحفظ والاتصال .

وشرعا : الترحم والاستغفار للمؤمنين لإسلامهم وطاعتهم ، والثناء عليهم مع الحب في القلب وهذا بناء على قوله تعالى مخاطبا رسوله الكريم : **وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** محمد / ١٩ .

والبراءة : هي البعد عن الشخص والتخلص منه ، وشرعا : بغضه وعدم الرضى عنه ، ظاهرا وباطنا ، قولاً وعملاً ، هذا إن كان من أعداء الله المجاهرين بالمعصية . المصيرين على مخالفة أوامر الله .

أما الوقوف : فهو منزلة بين المنزلتين ، وشرعا : عدم إعلان البراءة ولا الولاية فيمن تجهل أمره ، أو لم يتبين لنا وجه الحقيقة عنه ، وهي حالة واجبة ينبغي أن يكون عليها المسلم فيمن لم يعلم شيئا عن حاله ، ولم يظهر منه موجب

الولاية ولا البراءة . لقوله تعالى وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
الإسراء/ ٣٦ .

وقد جمع الشيخ السالمي هذه الأصول في قوله : وهو
يتكلم عن حرز الدين .

وحرزه أن توالي من أطاع وتبرأ من مصرّ ، وقف عن
كل من جهلاً .

- الدليل :

يعتبر الإباضية هذا الأصل من أهم أصولهم العقديّة
بناء على مفهومهم للإسلام على أنه عقيدة وقول وعمل .
وهم وضعوا هذا الأصل لحماية المجتمع المسلم من
الإنحلال والتشتت ، فوضعوا له شروطاً ومواصفات ،
وتشددوا في تطبيقه في مجتمعاتهم سواء أكان ذلك فيما
بينهم أو فيما بينهم وبين غيرهم ، وهم يعتمدون على
مشروعية هذا الأصل على أدلة من الكتاب والسنة
والإجماع . وفي هذا يقول الشيخ القطب محمد اطفيش :
« ولاية الجملة وبراءتها فريضتان بالكتاب والسنة والإجماع
على كل مكلف عند بلوغه أن قامت عليه الحجة » .

ومن أدلتهم من الكتاب قوله تعالى وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَنُتُونُ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ / التوبة
وقول النبي لابن مسعود يا ابن مسعود، أي عرى الإسلام
أوثق؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال «الولاية في الله
والبغض في الله.» ودليل البراءة من المصر على الذنب قوله
تعالى لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ / المجادلة / ٢٢.

وقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «من
أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل
الإيمان».

وقوله صلى الله عليه وسلم «من عادى لي وليا فقد
عاديت» أو ما معناه.

وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

من رأينا منه خيرا، وظننا فيه خيرا قلنا فيه خيرا
وتولّيناه، ومن رأينا منه شرا وظننا فيه شرا، قلنا فيه شرا

وتبرأنا منه .

وغالبا ما يستدل الإباضية على ضرورة تطبيق الولاية والبراءة بموقف الرسول الكريم مع (الخوالف) الذين تخلفوا عن غزوة (تبوك) إذ كان ذلك الموقف منه معهم رادعا ومرييا ، وجاء القرآن الكريم^(١) مؤيذاً موقف الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى .

- أقسامها -

تنقسم الولاية والبراءة الى قسمين :

ولاية الجملة والأشخاص ، وبراءة الجملة والأشخاص .

فولاية الجملة وبراءتها فريضتان بالكتاب والسنة والإجماع ، أما ولاية الأشخاص وبراءتها فواجبتان قياسا عليهما ، ولورود مدح الإخوان وجههم في القرآن وفي السنة النبوية الشريفة ، وإن قال غير الإباضية لا تجبان .

(١) تراجع هذه القصة في سورة (براءة) وسيرة ابن هشام لمزيد التفصيل .

ويقسم الشيخ السالمي هذه المسألة الى قسمين فقد تكون كل واحدة منهما توحيدا وتكون فرضا من الفروض الخارجة عن إطار التوحيد . فتكونان توحيدا عندما تكونان للجملة . فولاية جميع أولياء الله من الأولين والآخرين الى يوم الدين تعتبر ضمن التوحيد لأن أمر الإسلام يقوم بها فما دام العبد خاضعا لله ، منقادا له لا بد أن يحب جميع الذين أحبه الله من أهل طاعته ، وكذلك لا بد أن يبغض جميع الذين أبغضهم الله من أهل معصيته .

أما ولاية الاشخاص وبراءتهم ، فانها تعد من الطاعة كسائر الأعمال التي لا تعد من صلب التوحيد .

- ولاية الجملة :

يتفق جمهور المسلمين على أن ولاية الجملة فرض لا يتم الإيمان إلا بها . وهي أن مَوَالاة جميع المسلمين وجميع أولياء الله من الجن والإنس أجمعين الى يوم الدين من غير قصد الى أحد بشخصه .

والذين يدخلون في ولاية الجملة هم :

١ - الموصوفون بالعصمة والإصطفاء في القرآن وهم

على أربعة أقسام:

جملة وأفراد، ذكور وإناث.

فالجملة كالأنبياء والرسل، وأصحاب الكهف،
وأصحاب الأخدود.

والأفراد نوعان: مسمى: كآدم وأشباؤه. وغير
مسمى: كمؤمن آل فرعون وأمثاله

والذكور نوعان: أنبياء وأولياء

والإناث نوعان: مسميات كمريم ابنة عمران وأمثالها.
وغير مسميات كامرأة فرعون وأمثالها.

فجميع هؤلاء الذين نص عليهم القرآن الكريم
باسمائهم من أهل العصمة ولايتهم توحيد، وبراءتهم
شرك.

٢- سائر من ذكره الله في القرآن ولو بغير نص على
أسمائهم. فمن قامت عليه الحجة بتواتر الأخبار وصحيح
الآثار بتسمية أحد من هؤلاء، إعتقد علم ذلك يقينا بما صح
عنده. ومن هؤلاء الخضر عليه السلام. حيث يقول

تعالى فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا .
الكهف/ ٦٥ .

٣- ولاية الإمام العادل ومن اتبعه على طاعة الله تعالى
الا ان ظهر ما يدعو إلى التبري منه .

- ولاية الأشخاص :

أما الدليل على ولاية الأشخاص أنها فريضة كما
أوضحنا سابقا ، فإنها لما اتفقت علَّتْها في الأصل ، وجب أن
يتفق حكمها أيضا في الفرع ، لأن العلة إنما هي الوفاء في كلا
الوجهين ، وقال بعض مخالفينا ليس علينا من ولاية
الأشخاص شيء .

وقال بعضهم إلا شريطة أن يكون من أهل الجنة .

والولاية بالنظر الى الأشخاص تثبت بأمور وهي :

١- الخبرة بصاحبها أنه موافق للمسلمين في القول
والفعل .

٢- أن يكون الإنسان مشهورا بين الناس بالفضل
والتقوى ، وتسير بأخباره الركبان ، بحيث لا يذكر عنه الا

الخير والاستقامة وهو ما يطلق عليه (الشهرة).

٣- أن يشهد شاهدان عدلان على استقامته.

أما البراءة فتثبت بما ذكر سابقا أى الخبرة والشهرة، وشهادة العدلين، والإقرار. فمن أقر بأنه ارتكب كبيرة من الكبائر - وهو في حالة صحوه غير مغلوب على عقله - وجب التبري منه.

- شروط الولاية :

أما شروط الولاية فهي أربعة :

١- أن يكون مسموع الأذن مرضي .

٢- منظور العين مرضي .

٣- مرضي القلب مقبول الحال .

٤- موافق للمذهب والشريعة .

- البعد الحضاري للولاية والبراءة :

ان هذا الأصل له تأثير مباشر في مهج الدعوة عند الإباضية لأنه وسيلة عملية ناجعة لبناء مجتمع فاضل تسوده

المحبة في الله ، مجتمع لا تربط افراده المصالح الدنيوية
والمنافع المتبادلة فتركن به الى أن يرى الشرف فيصمت ،
والرذيلة فيتجاهل ، فالراضي بالشيء كفاعله ، ولأن الشر
إذا بدأ بفرد واحد استشرى خطره الى المجتمع كله ، والرذيلة
إذا أصابت بعنفها الثمرة الواحدة تسيل الداء منها الى كل
الثمرات الأخرى .

وأهل الدعوة في هذا يقتدون بالمجتمع الاسلامي
الطاهر في عهد صاحب الرسالة عليه السلام ، والخلفاء
الراشدين من بعده حين كان المجتمع المسلم يستمد تعاليمه
وعلاقاته وحاكميته من القرآن الكريم والسنة وحدهما .

ولا أدل على صحة هذا المنهج الرباني من بعض
المجتمعات الإباضية التي ما تزال متمسكة بهذا الاصل ،
مطبقة إياه مثل النظام الاجتماعي المتناسك بوادي ميزاب .

النشاط التقويمي :

١ - عرف الولاية لغة واصطلاحاً .

٢ - عرف البراءة لغة واصطلاحاً .

٣- عرف الوقوف .

٤- ما هو الدليل الذي اعتمده أهل الدعوة في اتخاذهم هذا أصل من أصول العقيدة عندهم .

٥- ما الفرق بين ولاية الجملة وبراءتها، وولاية الاشخاص وبراءتهم؟

٦- لماذا اختلف حول ولاية الجملة، وولاية الاشخاص؟ ما هي حجج الفريقين؟

٧- من هم المعنيون بولاية الجملة وبراءتها وما هي الجهات التي يتم بها ذلك؟

٨- من هم المعنيون بولاية الأشخاص وبراءتها؟ وما هي الجهات التي يتم بها ذلك؟

٩- ما شروط الولاية؟ اشرحها .

١٠- ما أبعاد تطبيق هذا الأصل في المجتمع المسلم؟ .

النشاط المدرسي :

كتاب قواعد الاسلام للشيخ الجيطالي من أهم المصادر الإباضية المهمة بشرح هذا الأصل . عد الى الجزء الأول ولخص منه ما قاله المؤلف في " حقيقة الولاية والبراءة وولاية الله في العباد " . ط الاستقامة ص ٨٨ , ٩٢ .

النشاط الختامي :

١ - في ضوء الواقع في المجتمعات الإسلامية المعاصرة أدرس هذا الأصل الأساسي في العقيدة . وقارن بين حالتين حالة يطبق فيها هذا الأصل وحالة يهمل فيها هذا الأصل ماذا تكون النتائج في كلتا الحالتين . ؟

ملحوظة : استعن بكتاب الشيخ علي يحيى معمر الإباضية في موكب التاريخ الجزء الأول الطبعة الأولى ، ص ٨٣ وما بعدها .

٢ - ماذا تعرف عن نظام حلقة العزابة بوادي ميزاب وهي الهيئة التي بقيت حريصة على تطبيق هذا الأصل عمليا ؟ اكتب بضعة أسطر عن الكيفية العملية التي يتم بها تطبيق هذا الأصل هناك .

- ملحوظة : استعن : ب : نظام العزابة للشيخ فرحات
الجعيري .

حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي .
محمد ناصر

الفكر السياسي عند الإباضية، عدون جهلان .

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر

قال الله تعالى :

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا النساء / ١١٤ .

وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم)

«لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو يُسلطنَّ الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم.»

جاء في متن الديانات :

«نَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ أَمْرٌ بِطَاعَتِهِ، وَنَهْيٌ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَنَدِينُ بِأَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ كُلُّهَا إِيمَانٌ، وَلَيْسَتْ مَعْصِيَتُهُ كُلُّهَا كُفْرٌ، وَنَدِينُ بِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ.»

- بناء على العقيدة الثابتة لدى الإباضية على أن الإيمان :

عقيدة، وقول، وعمل، كان لا بد أن يكون الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر أصلاً ثابتاً في عقيدة المسلم، بحيث يصبح أمراً واجباً في سلوكه اليومي. وضرورة لازمة في علاقاته الاجتماعية، ومن هنا كان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأصول الاجتماعية والأخلاقية التي حظيت بعناية خاصة لدى الإباضية ولعلمهم انفردوا من بين الفرق الإسلامية الأخرى بهذه العناية التي لا يشبههم فيها سوى المعتزلة.

- والإباضية حريصون على ذكر هذا الأصل في عقيدة التوحيد عندهم. فأسئهم الإسلام ثمانية وهي: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ثلاث درجات: الدرجة الأولى باليد، والثانية باللسان، والثالثة بالقلب، قال صلى الله عليه وسلم: من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر فليس من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وقال أيضاً ألا أنبئكم بميت الأحياء قالوا ومن ذلك يا رسول الله، قال من لم ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جندان من جنود

الله فمن نصرهما نصره الله ، ومن خذلهما خذله الله .

- وعلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيني الإباضية حكمهم على وجوب الإمامة لأن أمر المسلمين لا يستقيم الا بمبايعة إمام صالح عادل تقي يتولى أمرهم ، وينفذ حكم الله بالعدل بين الناس ، ويوحد صفوفهم ، بالتقى والورع ، ويضمن تماسكهم وتضامنهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويناط هذا الواجب بالإمام الحاكم أولاً وبالمحكومين من المسلمين ثانياً ، إذا كانت الدولة دولة ظهور ، أما إذا كانت دولة كتمان وكل ذلك الى علمائهم ورجال الدين فيهم ، وهو ما عليه العمل الآن بوادي ميزاب حيث يناط هذا الواجب بحلقة "العزابة" وأهل الحل والعقد من فضلاء الأمة . وهذا لا ينفي بطبيعة الحال مسؤولية كل فرد مسلم في المجتمع .

- إن المجتمع الإباضي بناء على قواعد مذهبه - كوجوب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ووجوب الولاية والبراءة للأفراد والجماعات . وعدم تمام الإيمان إلا بالعمل الصالح الذي يدعو إليه الإسلام ، وأنه لا أمل للعاصي الذي يموت على معصيته في رحمة الله يكون الصورة الصحيحة

للمجتمع المسلم النقي ، طهارة في العقيدة من الزيغ والبدعة
وطهارة العمل من أدران المعصية ، وطهارة في الخلق
بالحلي بما تحلى به الرسول الكريم وندب اليه ، وتخلق به
كل المؤمنون الصادقون في كل زمان .

النشاط التقويي :

١ - عرف الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر مستشهدا
بآيات من القرآن الكريم .

٢ - هل لهذا الاصل علاقة بتكوين المجتمع المسلم ؟
كيف ؟

٣ - لماذا يحرص الإباضية على ذكر هذا الأصل في
كتب " التوحيد " عندهم .

٤ - ما درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الفرد
أم من واجبات الجماعة .

٦ - ما علاقة هذا الأصل بالإمامة .

٧ - هل بقي العمل بهذا الأصل في المجتمعات الإباضية

المعاصره؟

٨- هل قيام الإمامة يُلغي واجب الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

٩- ما الفرق بين اعتبار مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلاً عقدياً وبين اعتباره أمراً تكليفاً؟

النشاط الدراسي :

للاباضية موقف متشدد في تطبيق أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف ترى العلاقة بين هذا الأصل ومبدأ الولاية والبراءة والوقوف؟

النشاط الختامي :

١- حلل نظرة الإسلام من تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على ضوء الواقع الإسلامي المعاصر، واستعن في تحليلك بدراسات بعض قادة الفكر الإسلامي المعاصر مثل: سيد قطب، ومحمد قطب، ومحمد الغزالي، والشيخ الخليلي، وأبو اسحاق اطفيش وغيرهم.

ملحوظة: يمكنك الرجوع الى بعض مؤلفات المذكورين أعلاه عند التحليل .

٢ - قام نظام الحكم عند الائمة الرستميين في المغرب الأوسط على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . .
حلل هذه المقولة معتمدا على ما جاء في كتب التاريخ المتخصصة .

ملحوظة: يمكنك الاستعانة بكتاب «أخبار الائمة الرستميين» لمؤلفه ابن الصغير الذي عاش في ظل الدولة الرستمية

المنزلة بين المنزلتين

(منزلة الإيمان، ومنزلة الشرك)

التفاق منزلة بين الإيمان والشرك .

قال الله سبحانه وتعالى مفصلاً هذه المنازل :

لَعَذَابُ اللَّهِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا الاحزاب / ٧٣ .

وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم)

«ثلاث من كنَّ فيه فهو منافق ولو صلى وصام وزعم أنه
مسلم . من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوْتِمِنَ
خان .»

جاء في متن الديانات :

«ندين بأن منزلة النفاق بين منزلة الإيمان ومنزلة
الشرك، وندين بأن المنافقين ليسوا بمؤمنين ولا بمشركين،
وندين بأن المشركين ليسوا بمؤمنين ولا بمنافقين، وندين بأن

المؤمنين ليسوا بمنافقين ولا بمشركين، ومن سمي كل واحد منهم باسم صاحبه فقد كفر. »

- حرصا من الإباضية على استخدام الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم في الحكم على منازل عباده مطيعين وعصاة، فإنهم يدققون تدقيقا كبيرا في استخدام هذه الألفاظ حين يتحدثون عن هذه الأصناف.

فقد استخدم القرآن الكريم كلمة المؤمن، والمسلم، والمنافق، والمشرك، والفاسق وغير ذلك وكل هذه الألفاظ لها دلالاتها المعنوية الواضحة.

- فالعبد لا يمكن أن يكون مؤمنا ومشركا في الوقت نفسه، ولكنه يمكن أن يكون في حالة لا يوصف معها بأنه مؤمن كما لا يوصف معها بأنه مشرك، حين يكون في مرتبة بين قطبين متناقضين أحدهما الإيمان وثانيهما الشرك. فيكون في منزلة ثالثة وهي النفاق، وهذه المنازل الثلاث أي الإيمان، الشرك، النفاق، يستحيل الجمع بينها فالمتصف بواحدة منهن لا يتصف بأخرى، وقد فرق الله سبحانه وتعالى في هذه المنازل بقوله: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين

والمؤمنات ، وكان الله غفوراً رحيماً ﴿ الاحزاب / ٧٣ .

- وعلى هذا فالإباضية يقولون بأن المنافق ليس مشركاً
لأنه موحد ، كما أنه ليس مؤمناً لأنه عاص ، مصداقاً لقوله
صلى الله عليه وسلم " . . . ولا يسرق السارق حين يسرق
وهو مؤمن ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " .

- إن لكلمة النفاق أثراً خاصاً في تاريخ الإسلام فقد
اشتهر بها عدد من الناس في زمن الرسول صلى الله عليه
وسلم وجهاده ضد المنافقين معروف مشهور ، إنهم فئة من
الناس آمنوا ظاهراً وكفروا باطناً ، فكان القرآن ينزل بتقريعهم
وبفضح أعمالهم متوعداً بالعذاب الأليم في الدنيا
والآخرة . يقول تعالى :

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ التوبة / ٦٧ .

- والإباضية يختلفون في هذا الأصل عن الأشاعرة
الذين يذهبون إلى أن ظاهرة النفاق عرفت في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم فقط ولا وجود لها بعد ذلك . فالذي

يظهر الإيمان ويُظن الكفر يعتبر عندهم مشركا . بينما الإباحية يرون أن النفاق متوقف على الفعل لا على الاعتقاد ، ويمكن أن يكون المنافقون في كل زمان ومكان وإنما تختلف الألقاب والأسماء . اما الحكم فهو واحد .

- وقد أوضحت عقيدة التوحيد عند الإباحية هذه القضية كما يلي :

١ - المسلم المقر المُوقفي هو من أتى بالقول والعمل .

٢ - المنافق هو من أتى بالقول وضيع العمل .

٣ - والمشرك هو من ضيع القول والعمل معا .

وقال الرسول الكريم « لا أخاف عليكم من مؤمن ولا من مشرك . أما المؤمن فقد شغله إيمانه ، وأما المشرك فقد أذله الله بشركه ، ولكن أخاف عليكم من منافق يقول ما تقولون ، ويفعل ما تنكرون » .

ويقول أيضا « المؤمن إذا عاهد وفى ، وإذا تحدث صدق ، وإذا أوتن لم يخن »

والمنافق إذا تحدث كذب ، وإذا عاهد لم يوف ، وإذا

أؤتمن خان .

وقد قال الصحابه يا رسول الله :

«إن الناس قالوا لا إله إلا الله فخفي علينا المؤمن من الكافر» فقال : «ألا أدلكم على المؤمن من الكافر ، أما المؤمن إذا قال لا إله إلا الله اتبعه بالعمل الصالح ، والمنافق إذا قال لا إله إلا الله اتبعه بالفجور .»

- مصداقا لهذه الآيات والأحاديث الكريمة ميز الإباضية بين مؤمن ، ومشرک ، ومنافق . فقالوا بالمنزلة بين المنزلتين . وهذا الحكم لا يسري على عهد النبي وحده بل يسري على كل زمان ومكان .

لا منزلة بين المنزلتين (منزلة الإيماء، ومنزلة الكفر)

قال الله سبحانه وتعالى:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَاتَعْمَلُونَ
بِصَيِّرُ التَّغَابِنِ / ٢ .

وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم)

«من ترك الصلاة كفر»

«ليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة» .

قال الشيخ علي يحيى معمر في كتابه «الإباضية في
موكب التاريخ» . ح ١ ، ص ٨٩ .

«يحسب كثير ممن لا علم له أن الإباضية يتفقون مع
الخوارج في تكفير العصاة كفر شرك، ولا يعرفون أن
الإباضية يطلقون كلمة الكفر على عصاة الموحدين الذين
ينتهكون حرمة الله ويقصدون بذلك كفر النعمة، أخذاً من
الآيات الكريمة التي أطلقتها في أمثال هذه المواضع واستناداً

الى أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم). »

- يقول الإباضية إن الإنسان إما مؤمن أو كافر ولا منزلة بين المنزلتين والمقصود بالكفر هنا كفر النعمة والحجود، لا كفر الشرك. وقد اختلفت الفرق الإسلامية في هذه القضية اختلافاً بيناً حين ناقشوا مصير مرتكب الكبيرة:

- فقالت الأشعرية: إنه مؤمن بتوحيده لكنه فاسق بكبيرته، وبما أنه مؤمن فشوابه الجنة وإن عصى، أي أنه لا يخلد في النار.

- وقالت المعتزلة: إن صاحب الكبيرة فاسق، وموضعه بين الإيمان والكفر، ولكنهم استتبعوا لهذا الحكم على الفاسق، التأييد في النار إن مات بغير توبه مثل الإباضية. واختلفوا معهم في التسمية التي تطلق على مرتكب الكبيرة، سموه فاسقاً وسماه الإباضية كافراً كفر نعمة.

- أما الإباضية فترى أن الإيمان والكفر ضدان لا يجتمعان كالحركة والسكون، والحياة والموت، فلا يعقل عندهم أن يكون العبد مؤمناً وكافراً في وقت واحد، فهو إما مؤمن أو كافر، ولا منزلة بين الكفر والإيمان. كما أنه لا

توجد منزلة بين التوحيد والشرك إما أن يكون العبد موحدًا
وإما أن يكون مشركًا .

إن وحد وعصى فهو موحد لا مشرك . كافر لا مؤمن ،
ليس له حالة ثالثة ، لقوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ
كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ۖ ^٤التغابن / ٤ .

- ويختلف الإباضية عن الخوارج في هذه القضية
اختلافًا بينًا وهو اختلاف لم يتفطن له المؤرخون وكتاب
المقالات القدامى فظلموهم حين صنفوهم مع الخوارج .
ويقول الشيخ القطب في هذا ما يلي :

«يجب الفرز بين كبائر الشرك وكبائر النفاق ، وأشرك
من لم يُفرز ، ومن شك في شركه ، لأنه شك في الشاك إن
قامت عليه الحجة ، وهو أن يعلم أن تكذيب الله إشراك
والكذب عليه نفاق ، ودخل في التكذيب القول بخلاف ما
قال مواجهة بلا تأويل والقول بخلافه مع الجهل لنزوله . أو
أن يعلم أن الكبائر قسمان شرك ونفاق ، قلت هو الصحيح
ممتاز به عن الأزارقه والنجدية والصفيرية» .

- والإباضية حين يطلقون كلمة الكفر على عصاة

الموحدين المنتهكين لحرمة الله يقصدون كفر النعمة أخذاً
 من الآيات الكريمة التي أطلقتها في هذه المواضع ، واستناداً
 إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالله سبحانه
 وتعالى يقول **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
 عمران / ٩٧ .

ويقول **وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ**
الْكَاذِبُونَ المائدة / ٤٤ .

ومن الواضح أن الآيات الكريمة هنا وفي هذين
 الموضعين تعني عصاة الموحدين .

- والخلاصة

١ - إن الإباضية عند ما يطلقون كلمة الكفر على أحد
 من أهل التوحيد إنما يقصدون كفر النعمة الذي يطلق عليه
 المعتزلة الفسوق ، ويطلق عليه غيرهم النفاق أو العصيان ،
 وهو معنى واحد والنقاش في هذا الموضوع نقاش لغوي ،
 والاختلاف لفظي .

٢- ان الكفر عند الإباضية ينقسم إلى ما يلي :

كفر نعمة قد يتمثل في الموحّد العاصي من غير توبة ،
وكفر حُجود وشرك ، ويتمثل في الإنسان الجاحد المشرك
بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر .

٣- استتبع هذا الحكم عند الإباضية التعامل مع
الموحدين العصاة فهم يعدونهم من الملة الإسلامية تجري
عليهم أحكام المسلمين ، ويحرمون أموالهم ودماءهم ،
وتنكح نساؤهم ، وتؤكل ذبائحهم ويجري عليهم كل ما
يجري على المسلم الموقّي لدينه . وهم في هذا يختلفون عن
الخوارج التي حكمت على عصاة المسلمين بالشرك فأحلت
دماءهم وأموالهم وأجرت عليهم ما يجري على المشركين
من أحكام .

٤- إن إطلاق كلمة الكُفر على الموحّ الميّت من غير توبة
يستتبع حكماً وهو الخلود في النار ، إذ في هذه الحالة لا
يعتبر في درجة المؤمن الموقّي بدينه على أية حال .

النشاط التقويمي :

- ١ - ماذا يعني مصطلح المنزلة بين المنزلتين؟
- ٢ - ما معتمد الإباضية في استخدام هذا المصطلح؟
- ٣ - ما موقف الأشاعرة من هذه القضية؟
- ٤ - يقال إن النفاق مصطلح استُخدم في عصر النبوة وانقضى . ما ردُّك؟
- ٥ - كيف عرّفت عقيدة التوحيد عند الإباضية هذه الأصناف . المسلم ، المنافق ، المشرك .
- ٦ - حدّد مدلول مصطلح «لا منزلة بين المنزلتين» . معتمدا على دليل شرعي .
- ٧ - ما أنواع الكفر وما قول الإباضية في هذه الأنواع .
- ٨ - ما الفرق بين الأشاعرة والإباضية والمعتزلة في تحديد هذا المصطلح؟
- ٩ - ما الفرق بين الإباضية والخوارج في تحديد هذا المصطلح؟

١٠ - ما الحجج الشرعية من الكتاب والسنة في الرأي الذي اختاره الإباضية؟

النشاط الدراسي:

١ - أعمد الى أي كتاب من كتب عقيدة التوحيد، ولخص منه موقف الإباضية في تحديد مصطلح «لا منزلة بين المنزلتين».

٢ - يقول الشيخ السالمي في منظومة «غاية المراد في الاعتقاد»:

«وفرزه في ثلاث مؤمن ومنافق

وصاحب شرك جاحد عذلاً.»

إشرح هذا البيت شرحاً وافياً مستعيناً بشرح أحد الأئمة الأعلام قديماً أو حديثاً.

النشاط الختامي :

١ - هل تعتقد أن مظاهر النفاق منعدمة في الواقع الإسلامي المعاصرات أمثلة واقعية تؤيد ما تذهب إليه من رأي.

ملحوظة :

يمكنك الاستعانة بكتاب الشيخ علي يحيى معمر ،
الإباضية في موكب التاريخ - الحلقة الأولى .

كما يمكنك الإستعانة بكتاب البعد الحضاري للشيخ
فرحات الجعيري .

الأسما والأحكام

قال الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي
 اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ
 حَرَجٍ مِّثْلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ مَنَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ

الحج / ٧٧، ٧٨ .

وجاء في متن الديانات :

«ندين بأن الأسماء تابعة للأحكام، وندين بأن أحكام
 الموحدين ليست كأحكام المشركين، وأحكام المشركين ليست
 كأحكام الموحدين، وندين بأن أحكام الموحدين بينهم راحدة
 الا في الولاية والتسمية بالإيمان، فإنه لا يستحقها إلا المؤمن
 الموفي بدينه .»

- إنطلاقاً من مفهوم الإباضية للإيمان بأنه عقيدة وقول
 وعمل يتشددون بل يتورعون في اطلاق الأسماء على
 مسمياتها، لأن الإختلاف في تحديد معنى الاسم ينتج عنه
 اختلاف حول الحكم الذي ينطبق عليه .

- ومن ثم غدا هذا الاستخدام أصلاً من أصول العقيدة عند الإباضية كما جاء ذلك في متن الديانات لعامر الشماخي حيث يقول «ندين بأن الاسماء تابعة للأحكام، وندين بأن أحكام الموحدين ليست كأحكام المشركين، وأحكام المشركين ليست كأحكام الموحدين، وندين بأن أحكام الموحدين بينهم واحدة إلا في الولاية والتسمية بالإيمان فإنها لا يستحقها إلا المؤمن الموقفي بدينه».

- ويقول البرآدي: «واعلم أن الأسماء على أصولنا تنقسم ثلاثة أقسام: أسماء دينية وأسماء شرعية، وأسماء لغوية.

فالأسماء الدينية: تتعلق بها أحكام الآخرة، والأسماء الشرعية: تتعلق بها التكاليف مثل الصحة والفساد. والإجزاء وعدمه، والإعادة والاحتياط. والأسماء اللغوية: هي المستعمله لموضوعها من غير نقل إلى شيء.

والذي يهمنا من موضوعنا هذا هي الأسماء الدينية.

والأسماء الدينية مثل الإيمان والكفر، والشرك والإسلام، والدين والبر والإحسان والنفاق والفسق

والكبيرة والصغيرة، فهذه أسماء جعلت للشيعة وعلق بها الثواب والعقاب والحدود والولاية والبراءة . . . وأكثر اختلافات الأمة إنما جاء من قبل هذه الأسماء الدينية .

- ومن أجل أهمية هذه المواقف وعلاقتها الوطيدة بعقيدة المسلم حرص أهل الدعوة على التحري في تفسير معاني الأسماء ووضعوا القاعدة الأساسية القائلة «إن الأسماء تابعة للأحكام» .

فأحكام الموحدين مثلاً ليست كأحكام المشركين، والعكس صحيح، لأن الموحّد والمُشرك اسمان مختلفان مُسمَّين مختلفين تمام الاختلاف .

وإذا كان الخلاف حول حقيقة الشرك والتوحيد أمراً واقعاً فإن الاختلاف حول بقية الأسماء أمرٌ لا مناص منه، وذلك أنهم اختلفوا في الطاعة والإيمان والمعصية والكفر، فترتبت على هذا الاختلاف الأحكام بين الفرق الإسلامية .

فقال بعضهم: الإيمان كله توحيد، والطاعة منها توحيد وغير توحيد، والكفر كله شرك، والمعصية منها شرك وغير شرك. وقال بعضهم: الطاعة كل ما قارفه الأمر من توحيد

أو غيره، والطاعة كل ما قارنه الثواب من توحيد أو غيره .
والمعصية كل ما قارنه النهي من شرك أو غيره . والمعصية كل
ما قارنه العقاب من شرك أو غيره، وهذا القول الأخير هو
قول الإباضية .

- وقد أدّى التحري في استخدام الأسماء والأحكام
الى نقاش طويل، كان وما يزال محل خلاف بين الفرق
الإسلامية، ولعل أهم القضايا المتفرعة عن هذا الأصل هو
الاختلاف حول مفهوم الايمان : وما زال الخلاف حول أربعة
مواقف :

- ١ - من يعتقد أن الإيمان يكون بالقلب فقط .
- ٢ - ومن يعتقد أن الإيمان باللسان فقط .
- ٣ - ومن يعتقد أن الإيمان بالقلب واللسان معا
- ٤ - ومن يعتقد أن الإيمان بالقلب واللسان والأعمال .
والإباضية يذهبون الى هذا الرأي .

وقد ألح الإباضية على اعتبار الأعمال الواجبة من
الإيمان، وأن الإخلال بشيء منها يفسد الإيمان كله، وهذا

موقف من الصراحة بمكان كان له الأثر الفعال في البعد الحضاري لهذه القضية لدى الإباضية^(١).

- وقد بنى الإباضية منهجهم الدعوي على هذا الأساس المتين الذي لا يفرق في العقيدة بين النية والقول، والعمل. وصنفوا أحكام الشريعة على هذا الأساس أيضا، فالنطق بالشهادتين وحدهما يُدخل المسلم في الإطار الجغرافي للمسلمين فيحرم دمه وماله، وعرضه لقوله عليه السلام «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد حقنوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها». قيل وما حقها يا رسول الله؟ قال: «كفر بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق».

والدليل الذي يستند إليه الإباضية في معتقدتهم هذا لا يخطؤه نظر المسلم البسيط حين يلقي نظرة خاطفة على كتاب الله حيث يجد صفة الإيمان ترتبط دوما بالعمل الصالح، وهو ما يدعو إليه أغلب المفكرين الإسلاميين المعاصرين المنصفين.

(١) للتوسع انظر البعد الحضاري د. فرحات الجعيري، ص ٤٩٨.

النشاط التقويمي :

١ - لماذا يتشدد الإباضية في إطلاق الأسماء على مسمياتها دينيا؟

٢ - ما المقصود بهذا الأصل «الأسماء والأحكام»؟

٣ - حدد مفهوم الأسماء الآتية: المؤمن، المنافق، لكافر.

٤ - ما أهم قضية تفرعت عن «الأسماء والأحكام»؟

٥ - ما البعد الحضاري لمفهوم الإباضية للإيمان؟

النشاط الدراسي :

١ - اكتب بضعة أسطر عن حقيقة الإيمان كما تحددها كتب العقيدة من أهل الدعوة؟ (استعن بكتاب البعد الحضاري . ص ٤٩).

٢ - عد الى كتاب، «الجملة» من تأليف الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ولخص منه ما شرحه حول الإيمان زيادة ونقصانا.

النشاط الختامي :

اكتب ملخصاً مركزاً عن موقف الإباضية من خلال
ثلاثة مواقف وحللها :

١ - الإيمان يزيد وينقص .

٢ - الإيمان يزيد ولا ينقص .

٣ - الإيمان لا يزيد ولا ينقص .

ملحوظة : استعن بمشارق أنوار العقول للشيخ نور
الدين السالمي .

الموجز لأبي عمار عبد الكافي (تحقيق عمار الطالبي) .

الإمامة وسروطها

قال الله تعالى :

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
الَّذِي أَرَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي
لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
النور / ٥٥ .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

«ثلاث لا يستخف بحقهم إلا منافق : حامل العلم ،
وذو الشيبة ، والإمام العدل .»

جاء في مقدمة التوحيد : (شرح الشماخي)

«ليس منا من قال إن سلطانين يجتمعان في سيرة
واحدة ، ولا من زعم إن الهجرة باقية بعد فتح مكة ، ولا من

قال إن جميع من يجلب دمه يجلب ماله ، ولا من زعم أن علم الديانة يدرك بغير تعلم ، ولا من زعم أن الإمامة ليست بواجبة ولو كانت شروطها . . »

- تعد الإمامة من أهم الأصول ذات الطابع العقدي السياسي والاجتماعي عند الإباضية ، لأنها توضح نظرهم العميقة لأصول الحكم وسياسته ، وشروط بناء الدولة الإسلامية العادلة ، والذي يعود الى كتب الفقه وعلم الكلام عند الإباضية يلحظ اهتمامهم البالغ بهذا الأصل وفهمهم العميق لسياسة الحكم مما ينفي عنهم ما يرميهم به بعض المؤرخين من قصورهم في هذا الميدان ، بدعوى أنهم بدو لا يفهمون أصول الحكم ولا قوانين تسيير الدول . وهم لم يكتفوا بنظرياتهم العميقة الرائدة تلك وإنما طبقوا هذه النظريات في الإمامات المتعاقبة في عمان وفي الجزائر . (الدولة الرستمية) .

- ويتفق جمهور الإباضية على أن الإمامة فرض من فرائض الله ، وواجب من واجباته ، وهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض أجزوا عن الباقي . وهي عندهم فرض بالكتاب والسنة والإجماع والاستدلال . ويوضح الشيخ

تبيغورين عيسى (عاش في القرن السادس الهجري) الأدلة العقلية والنقلية على ذلك حيث يقول :

«وعقد الإمامة فريضة عندنا لفرض الله الأمر والنهي ، والقيام بالعدل ، وإقامة الحدود على ما بينه في كتابه ، فاجتمعت الأمة على أن هذه الحدود مع وجوبها لا تقام إلا بالائمة وولاتهم ، فثبت أن عقد الإمامة على المسلمين واجب وحق لازم» .

- وتعتبر هذه القضية من أهم القضايا التي يتميز فيها الإباضية عن الخوارج الذين يرون عدم وجوب تنصيب الإمام لأن تنصيبه يثير الفتنة لاختلاف أهواء الناس وميلهم الى هذا دون ذلك مما يتعين معه عدم الاتفاق على تنصيب إمام واحد يتفق حوله الإجماع ، وقد رد الشيخ القطب على هذه الدعوى بقوله :

«إن هذا نفسه أدل على الوجوب ، أي أن الاختلاف مما يؤكد وجوب تنصيب الإمام حتى لا تبقى الأمة في ضلال وفتنة وتشتت ، ويحل الإشكال بأن يقدم للأمة الأعلم فإن تساويا فالأورع . وإن تساويا فالأسنّ ، وقد يقدم الأليق مع وجود الأعلم وهكذا تنتفي الفتنة بهذا التفضيل .

الصفات المشروطة في الإمام:

- واشتروطوا في الإمام أن يكون ذكراً بالغاً عاقلاً حراً
تقياً ورعاً عالماً بالأصول والفروع، وله دراية بالشؤون
السياسية والحربية، غير مصاب بأية عاهة جسدية أو وصمة
خلقية، شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم، وجمعوا ذلك
في قولهم أن يكون من أهل الصدق والورع والفهم، وزاد
بعضهم أن يكون فصيحاً باللغة العربية، وليس ممن قام عليه
حد من قطع أو جلد.

- والناظر في هذه الشروط يلحظ تركيزها على الصفات
الخلقية والخلقية مما له صلة مباشرة بتوجيه الرعية ورياستها
في السلم وفي الحرب، حتى لا يكون الإمام المسؤول الأول
في الدولة، ضحية عقدة نفسية قد تعيقه عن مهامه القيادية
الإدارية والعسكرية والتربوية. وأن يكون مهأب الجانب،
فالناس قد جُبلوا على الإنقياد لمن استجمع أكثر خصال
السمو الإنساني ويضعون فيه ثقتهم، ويتحول في نظرهم
إلى راع أمين لا مجرد رجل عادي.

طريقة البيعة أو الانتخاب :

- تؤكد القواعد المتبعة عند الإباضية في اختيار الامام ، على أن تتم مباشرة مع وفاة الإمام الحاكم ، وليس أبدا قبل وفاته وهذا يعني أن الإمام المتوفى لا ينبغي أن يكون له دور أساسي في انتخاب الإمام الجديد رغم أن رأيه يمكن أن يكون معروفا بعنوان النصيحة غير الملزمة .

- والطريقة تتم بأن يمد أفضل أهل الحل والعقد يده فيصافح بها الإمام قائلا :

«إنا قدمناك إماما على أنفسنا والمسلمين ، على أن تحكم بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام ، وعلى أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتظهر دين الله الذي تعبد به عباده ، وتدعو إليه ما وجدت الى ذلك سبيلا» فإذا قال " نعم " . وجبت البيعة ، وثبتت العقدة . هذا إن كان إمام دفاع ، إما إن كان إمام شراء أضافوا «وعلى الجهاد في سبيل الله» وعندما تتم المبايعة يضعون " الكُمة " على رأسه والخاتم في يده ^(١) . ثم يخطب الخطيب بصحة البيعة وبالتكبير والتحميد بعد صلوات الفرائض ، ويقول بعدها : «لا إله إلا الله لا حكم

(١) هذه تقاليد قد تتغير من مكان إلى آخر لأنها شكليات كما لا يخفى .

إلا لله ولا حكم لمن حكم بغير ما أنزل الله، ولا طاعة لمن عصى الله، لا حكم إلا لله خلعا وفراقا لأعداء الله».

واجبات الإمام وسلطاته:

- إذا تمت البيعة للإمام على النحو المذكور، يصبح المسؤول الأول في الدولة ويتمتع بصلاحيات مطلقة في حدود الشرع، له أن يحكم بما يراه صوابا، ويجتهد في إقامة العدل بين الناس ويعطي كل ذي حق حقه، ويحسن له في ذلك أن يستعين بمجلس الشورى أو بوزير، وهذا لا يرفع عنه المسؤولية لأن الإمام الإباضي لا يتمتع بحصانة معينة، فهو المسؤول عن إجراءاته وقراراته التي يتخذها وبالتالي يتحمل كل تبعة تنجر عن تلك الإجراءات والقرارات ولا يقول الإباضية بعصمة الإمام.

- ويؤكد العقد بينه وبين المسلمين على أن يكون الأمين على بيت المال، وعليه ألا يحتجب عن الرعية إلا في وقت لا بد منه، وعليه أن يتعهد رعيته ولا يغفل عنهم، يجتهد في مصالحهم، ويتفقد أحوالهم، ويفتح لهم بابه، ويباشر أمورهم بنفسه.

- أما مهام الإمام فكثيرة مختلفة، ولا سيما إذا اتسعت رقعة الدولة، ويمكن جمع واجبات الامام في الميادين الآتية: الأمن، الإدارة، الدعوة، الإقتصاد، الاجتماع. وقد فصلت المطوَّلات الفقهية هذه المهام وبينتها وناقشت تفاصيلها وجزئياتها.

- ومن حق الإمام على الرعية السمع والطاعة، أما العصيان والتمرد فحرام قطعاً فالثورة على الإمام العادل من أبشع الجرائم المنكرة عند الإباضية، وكل عمل يؤدي الى إحداث شغب أو تشويش في الدولة ممنوع يجب إيقاف صاحبه وتأديبه.

- وإذا ظهر من الإمام نقص أو إهمال أو تهاون، كان على الخاصة والرعية أن تنصحه وتحذره، فإذا تمادى، عندئذ ينبغي عزله. فإن مراقبة الأمة للإمام حق وواجب وتسيير أمور الدولة مسألة مشتركة في إطار القانون والصلاحيات الدستورية.

شروط استقالة الإمام أو عزله :

- أجمعت الأمة كما اسلفنا على تحريم عزل الإمام العادل ، ومعنى ذلك أنه لا يمكن عزله الا بعذر مشروع ، وهناك وجهات نظر مختلفة حول طبيعة هذا العذر المشروع ، كما أن الأمر يختلف من إمام إلى آخر حسب الظروف السياسية التي يكون عليها فظروف الإمام الشاري غير الإمام الدفاعي إذ استقالة الأول أو عزله أسهل من الثاني .

- ومن الأعدار الشرعية الموجبة لعزل الإمام الإباضي أن يخل بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه لأن معنى ذلك أنه أخل بالعقد بينه وبين الرعية ومن ذلك :

١ - إذا ارتكب الإمام مَكْفَرَةً ، فعلى الرعية ألا تنقض العهد إلا بعد استتابته فإن تاب فذاك والا تصبح البراءة منه وخلعه اذا لزم الأمر واجبا .

٢ - اذا حدثت ثورة عليه فلم يقاتل أصحابها رغم قدرته على القتال ، وشرط قدرته أن يكون معه من الأتباع كضعف عدوه .

٣ - إذا امتنع أتباعه عن طاعته ، كان له ذلك عذراً

- للإستقالة من منصبه .
- ٤ - إذا اعتزل عنه أثناء القتال عدد من أتباعه المخلصين .
 فيجب أن يعزل ، لأن الإعتزال في هذه الظروف من أولئك
 الأتباع لا يكون إلا من أجل نقیصة في الإمام .
- ٥ - إذا ترك المشورة واستبد بالرأي وظهر بطلان رأيه .
- ٦ - إذا رأى الباطل ولم ينكره .
- ٧ - إذا استعمل غیر المسلمين واتخذ وزراء من
 الظالمين ، يستتاب ولا عَزْل .
- النشاط التقويي :**

- ١ - ما مكانة الإمامة عند الإباضية؟
- ٢ - كيف ينظر الإباضية إلى الإمامة وما أدلتهم الشرعية
 في وجوبها؟
- ٣ - هات بعض الأدلة العقلية لوجوب الإمامة؟
- ٤ - ما الصفات المشروطة في الإمام؟
- ٥ - ما العلاقة بين السلامة الجسدية والسلامة الخلقية

في تولّي هذا المنصب؟

٦- كيف تتم بيعة الإمام؟ أذكر هذه المراسيم؟

٧- ما واجبات الإمام؟

٨- ما سلطاته؟

٩- ما حقوقه على الرعية؟

١٠- ما موقف الإباضية من عزل الإمام العادل والثورة

عليه؟ ولماذا؟

١١- متى يتم عزل الإمام أو يدعى إلى الاستقالة؟

١٢- أذكر بعض الأئمة المشهورين في عمان والمغرب؟

النشاط الدراسي:

١- كتاب الفكر السياسي عند الإباضية لمؤلفه عدّون

جهلان من أهم المؤلفات المعاصرة تحدثا عن الإمامة
وشروطها.

عد الى هذا المؤلف ولخص منه الفصل المتعلق «بوحدة

الإمامة وتعددتها».

٢- لخص في بضعة أسطر سيرة الأئمة التالية

أسمائهم، على الخيار:

الجلندي بن مسعود. الوارث بن كعب، الصلت بن

مالك، عبد الرحمن بن رستم، عبد الوهاب بن عبد الرحمن

بن رستم.

النشاط الختامي:

١- من النقاط الجوهرية التي يختلف فيها الإباضية مع

الفرق الأخرى عدم اشتراطهم القرشية في الحكم.

اكتب مقالة مركزة تبين فيها الأدلة الشرعية التي استند

اليها الإباضية، واستعرض آراء الفرق الأخرى.

٢- أدرس نظرية الإباضية في الخلافة على ضوء الواقع

الإسلامي المعاصر. ووضح كيف دلت التجربة الإباضية

على أصالة فكر وعمق نظره.

ملحوظة: إستعن في هذا الموضوع بكتاب الشيخ

علي يحيى معمر- الإباضية في موكب التاريخ.. الحلقة

الأولى، الطبعة الأولى، ص ٦٣- ٦٥.

مسالك الدين أو أنواع الإسلام

«يعتبر هذا الأصل "مسالك الدين" من أهم ما يتميز به الإباضية في مجال الفكر السياسي، فهو يضع جملة من التعاليم والمبادئ يحدد الإباضية وفقها مواقفهم السياسية في مختلف الظروف الزمانية والمكانية سواء المتعلقة بالشؤون الداخلية حيث تتواجد التجمعات الإباضية، أو المتعلقة بالشؤون الخارجية متمثلة في علاقاتهم بالدول الأخرى أو تكتلات مخالفيهم.

... وخلاصة ما يهدف إليه هذا الأصل "مسالك الدين" هو التخطيط لإقامة دولة إسلامية عادلة دستورها القرآن والسنة، حكامها خبراء في أمور الدين والدنيا»^(١)

وفيما يلي عرض تفصيلي لمسالك الدين الأربعة وهي:
الظهور والدفاع والشراء والكتمان.

(١) عدون جهلان، الفكر السياسي، ص ١٤٩.

- أولا الظهور :

تأتي مرحلة الظهور في القمة من بين المراحل الأخرى لأنها هي الأصل والنهاية التي يتطلع اليها المسلمون في الحكم، وهي تعتبر عادة تتويجا للمساعي والجهود للحالات الثلاث الأخرى : الكتمان والدفاع والشراء، وهي الهدف الذي يجاهد من أجله أهل الدعوة ويستشهدون في سبيله، وتعني هذه الحالة قيام حكومة أو دولة أو خلافة إباضية على أسس الشريعة الإسلامية تطبق أحكام الله، وتسير على النهج الإسلامي الذي سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون، فيكون من مهامها : تنفيذ حكم الله، وإقامة الحدود، وصون الحقوق، ورد المظالم، وحفظ الثغور، وحمل الدعوة الإسلامية الى بلاد الكفر .

وهذه المرحلة لا تتحقق عمليا إلا بالإمامة الكبرى كما وقع ذلك مع الإمامات المتعاقبة في عمان أو في المغرب الأوسط إبان حكم الدولة الرستمية، وقد اعتمد الإباضية على وجوب الوصول الى هذه الحالة من قوله تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ ومن قوله تعالى ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو

كره المشركون».

- شروط إمامة الظهور:

يقول الشيخ اطفيش في شرح النيل وهو يضع شروط
إمامة الظهور:

«إذا كان المسلمون ذوي عدة وقوة في المال والعلم بدين
الله وإقامة أمره وحدوده مكتفين بما معهم من المال والعلم لما
يأتي عليهم من حوادث الأمور أو يغشاهم من متشابه
النوازل، كان الواجب أن يختاروا من أفاضلهم إمامهم ليقيم
شأن دينهم الذي افترضه الله عليهم». فالمقومات إذاً أربعة:
المال، العلم، السلاح، الكُراع.

- ثانياً: الدفاع:

تأتي مرحلة الدفاع في درجة أقل من درجة الظهور،
لأن الأمة لا تلجأ إليها إلا مضطرة بعد أن تكون قد خذلتها
الامكانيات المادية والمعنوية، ويكون المسلمون عندها أقل
شأناً من أن يستطيعوا إقامة دولة قوية لهم تجعلهم ظاهرين
في الأرض.

ومع ذلك فإنه يجب عليهم أن ينظموا صفوفهم،
ويُلمّوا شعثهم، ويرأبوا صدعهم للدفاع عن أنفسهم حماية
لهم من أعدائهم. فلا يستكينوا للطغيان، ولا يتخاذلوا له
ولا يسمحوا له بأن يقضي على وجودهم وكيانهم. بل
يصبح أمر الدفاع واجبا لا يقل فرضا عن إمامة الظهور وذلك
بأن يختاروا إماما يبايعونه يقود جماعتهم ويترأس صفوفهم
لاسترداد حق ضائع، أو وطن استبيح، أو أرض اغتصبت.
أو تهديد داهم يشكل خطراً على وجودهم.

ومن موجبات الدفاع ورفع رايته ما يلي:

١ - مداهمة العدو وسيطرته على الوضع وقد يكون
هذا العدو من خارج الدولة يستهدف الأرض والبلاد
والإطاحة بالإمامة، وقد يكون من داخلها كظهور حزب
منشق أو جماعة مُفْتَنَة تثور ضد الإمام لهدف أو لآخر.

٢ - تفشي الفساد وإشاعة الفاحشة وكثرة الظلم بسبب
انحراف الإمام عن الجادة وتخليه عن الأمانة، وخيانتة لله
ورسوله والمؤمنين^(١).

(١) ينظر عدون جهلان، الفكر السياسي، ص ١٥٦.

ويمكن أن نضرب مثالا للدفاع بإمامة أبي حاتم المزورزي الذي ببيع على الدفاع عن البلاد في المغرب بعد مقتل الإمام إمام الظهور ابي الخطاب المغافري سنة ١٤٠ بطرابلس حيث كان جيش بني العباس يباغت بلاد المسلمين ويظهر في الأرض الفساد. وهكذا قاتل الإمام أبي حاتم المزورزي دفاعا عن إمامة أهل الدعوة حتى قُتل .

ومن حقوق إمام الدفاع الطاعة الكاملة من الأمة فإذا هدأت الأخطار ودُفع العدو واستقرت الأوضاع ، أصبح فرداً من أفراد الأمة فتزول إمامته بزوال موجباتها ، وقيل يجوز نصبه على استمرار بلا قيد ولا عبء بشرط التنصيب .

- ثالثا : الشراء :

والشراء كلمة مستمدة من قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ وفي اصطلاح أهل الدعوة مرحلة من مراحل الإمامة والحكم ، وهي تكون عندما لا يتمكن أهل الدعوة من الظهور لضعفهم ، ولا يتمكنون من الدفاع بحيث تكون السلطة الحاكمة مهيمنة قوية ، في مثل هذه الحالة تنبري جماعة تتركب من أربعين رجلا فما فوق ،

يشرون آخرتهم بدينهم ، ويعاهدون الله على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بدون مبالاة أو خوف ، ويضحون بأنفسهم في سبيل إحقاق الحق ودفع الباطل ، ولو أدى ذلك بهم إلى الإستشهاد ، وهم إنما سموا شرارة لتحقيق هذا المعنى فيهم ، فهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة ، والبيع لا يتم الا بتسليم الشيء المبيع للشاري ، وبذلك يحكم على الشاري أأ يقيم حتى يموت أو يظهر دين الله ويندحر الكفر والجور .

والشراة هم الفدائيون الذين يتطوعون لمقاتلة البغي والظلم ، وقد حدث مثل هذا في مراحل تاريخية كثيرة ، ولعل أبرزها على الإطلاق تلك المرحلة التي عقدت فيها الإمامة لأبي بلال مرداس بن حدير الذي ثار على ظلم الطاغية عبيد الله بن زياد ، فاجتمع مع أربعين من اصحابه وقاتلوا دولة الجور حتى استشهدوا عن آخرهم .

- واختيار عدد الأربعين له دلالة دينية وتاريخية هامة ، فإن رسول الله كانت عبادته وعبادة أصحابه (رضي الله عنهم) ، خفية في مكة المكرمة حتى أسلم عمر (رضي الله عنه) فأصبح العدد بإسلامه أربعين هنالك خرجوا من دار

الأرقم وأعلنوا الصلاة خارج الدار، فكان في ذلك دليل على أن للأربعين شأنًا.

وموطن الشراة سيوفهم وليس لهم أن يرجعوا عن فدائيتهم حتى لا يبقى منهم سوى ثلاثة في بعض الأقوال وقيل حتى الفناء الكلي في أقوال أخرى.

- رابعا: الكتمان:

وتجىء هذه المرحلة في المرتبة الدنيا من المراحل السابقة لانها هي الملاذ الأخير الذي يلجأ اليه الإباضية في حال الضعف والإنهزام، ومع ذلك فهي تعتبر عندهم أدنى درجات الجهاد حيث يرصون صفوفهم في تنظيم داخلي سري محكم، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحفظ للجماعة وحدتها وتماسكها داخلا وخارجا، وهي حال إباضية وادي ميزاب تحت حكم الاستعمار الفرنسي للجزائر».

وتمتاز مرحلة الكتمان بتنظيم جيد يقوم على مبادئ وتعاليم دقيقة تدل على قدرة الإباضية على التنظيم المتسم بالعقلانية والواقعية والإعتدال في التفكير وإصدار الأحكام

ووضع المبادئ كما تدل مرحلة الكتمان على النضج السياسي لدى الإباضية، فالكتمان لا يعني السكوت وعدم الحركة وإنما هو مرحلة إعداد لاستلام السلطة^(١).

وقد دلت الوقائع التاريخية على أن هذه المرحلة غالباً ما أدت إلى مرحلة الظهور، كما وقع ذلك في المرحلة التي أوى فيها الإمامان جابر وأبي عبيدة إلى الكتمان والعمل السري المحكم، الذي أثمر حملة العلم^(٢)، وهم بالتالي أثمروا دولة طالب الحق^(٣) في حضرموت واليمن. ودولة أبي الخطاب عبد الأعلى وعبد الرحمن بن رستم في المغرب^(٤).

وللإباضية في التعامل مع السلطة الحاكمة الكافرة الظالمة تنظيم دقيق وأسلوب محكم، من ذلك أنهم يتعدون عن تسلم الوظائف ويرفضون التعاون مع السلطات الجائرة الكافرة. ويعكفون على الدعوة والإرشاد والتعليم والتربية

(١) عدون جهلان، الفكر السياسي، ص ١٦٤.

(٢) حملة العلم، هم الذين تعلموا عند أبي عبيدة في سرداب بالبصرة سرّاً، ثم وجههم إلى المشرق والمغرب لنشر مذهب أهل الدعوة.

(٣) دولة عبد الله بن يحيى الكتندي، في سنة ١٣٠ هـ.

(٤) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري أنشأ أول دولة إباضية في المغرب الإسلامي في ١٤٠ هـ وكذا عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرسمية في المغرب الأوسط سنة ١٦٠ هـ.

في إطار جمعيات خيرية، ومؤسسات خاصة، وهم يهدفون من خلال ذلك الى إعداد النشء الصالح وتربيته، والحفاظ على المقومات الدينية حتى لا يؤثر فيهم ما تأتيهم به الدولة الإستعمارية الكافرة.

وغالبا ما يكون هذا النظام المتجه الى إصلاح المجتمع في جميع مجالاته تحت رعاية علماء الدين الذين يطلق عليهم في المغرب (العزابة) وهم أعضاء في الهيئة الدينية التي تتولى شؤون التوجيه الديني والاجتماعي والتربوي والاقتصادي، وهؤلاء الأعضاء يختارون بعناية وتشرط فيهم شروط مفصلة في المصادر التي تتحدث عن هذا التنظيم المحكم. والذي ما يزال قائما لدى المجتمع الاباضي بقوة في وادي ميزاب حتى يومنا هذا، وقد مر على تأسيسه أكثر من ألف عام.

النشاط التقويمي:

- ١ - كم مسالك الدين؟ ولماذا سميت كذلك؟
- ٢ - لماذا نجد كتب العقيدة والفقه عند أهل الدعوة تتحدث عن ذلك؟

٣- هل يمكن الفصل بين الدين والسياسة عند الإباضية؟

٤- ما معنى إمامة الظهور؟ ومن أين استُمدَّ هذا المصطلح؟

٥- ما شروط إقامة إمامة الظهور؟ وما عدتها؟

٦- لماذا عدت إمامة الظهور هي الأصل؟ وغيرها الفرع؟

٧- ما معنى الكُرَاع؟ ولماذا يعد العلم من مقومات إمامة الظهور؟

٨- ما معنى الدفاع؟ ولماذا يأتي عادة قبل أو بعد الظهور.

٩- هات أمثلة حية من تاريخ أهل الدعوة للظهور والدفاع.

١٠- ما هي صفات إمام الدفاع؟

١١- ما موجبات إمامة الدفاع؟

١٢ - ما الدلالة اللغوية والإصطلاحية لكلمة «الشراء»؟

١٣ - ما شروط إعلان إمامة الشراء؟

١٤ - هات أمثلة تاريخية لإمامات الشراء؟

١٥ - لماذا تعد مرحلة الكتمان درجة متدنية في سلم الحكم؟

١٦ - كيف ظهرت عبقرية الفكر الإباضي في هذه المرحلة؟

١٨ - هات نماذج حية من التاريخ لإمامات الكتمان؟

النشاط الدراسي:

١ - عد الى كتاب «المصنّف» لأبي بكر أحمد بن عبدالله الكندي، ولخص منه ما جاء فيه من شروط لإقامة إمامة الظهور.

٢ - عد الى كتاب قواعد الإسلام، للشيخ اسماعيل الجيطالي وانقل منه الأدلة الشرعية: الكتاب، السنة، الإجماع، الاستدلال على فرضية الإمامة.

النشاط الختامي: المال قبيح غلاما قبالا لاله - ٢١

١ - استطاع الإباضية أن يحافظوا على مذهبهم لمرونتهم السياسية، وعمقهم في دراسة أصول الحكم. هات الأدلة على صحة هذا القول من خلال استعراضك للنظام الإداري والتربوي والسياسي للإباضية في وادي ميزاب وهو المعروف بنظام (العزابة).

٢ - يقول الدكتور فاروق عمر في كتابه التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين في صفحة ٤٠ ما يلي:

«مثلت الإباضية تحولا واضحا في ثورات الخوارج من حركات هوجاء غير مخطط لها الى دعوة سرية منظمة مخطط لها، تتميز بتنظيماتها الدقيقة التي تشبه تنظيمات الأحزاب السرية المعاصرة، وبذلك تكون امكانات نجاحها أكبر بكثير من إمكانات نجاح الفرق الأخرى، وهذا ما اثبتته الوقائع التاريخية».

٢ - استمعوا جيدا: في كل مرة عندما يأتينا بالحق إلى الله - ٢
٢ - استمعوا جيدا: في كل مرة عندما يأتينا بالحق إلى الله - ٢
٢ - استمعوا جيدا: في كل مرة عندما يأتينا بالحق إلى الله - ٢

المطلوب :

حلل هذه المقولة على ضوء ما تذكره من وقائع تاريخية
تثبت صحة هذا الرأي أو تنفيه .

ملحوظة : يمكنك الإستعانة بما يلي :

١- د. عوض خليفات، التنظيمات السياسية
والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان . نشر وزارة
العدل والأوقاف، سلطنة عمان : د . ت .

٢- عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية .
الضامري للنشر والتوزيع . ١٩٩١ م .

نفي رؤية الباري

قال الله تعالى :

لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ الأنعام/ ١٠٣

... عن مسروق

... عن عائشة (رضي الله عنهما) قالت : «ومن
حدثك أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) رأى ربه فقد
كذب، وهو يقول : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ . ومن حدثك أنه
يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول ﴿ لا يعلم الغيب إلا
الله ﴾ . فتح الباري شرح صحيح البخاري

كتاب التوحيد

قال الشيخ السالمي في بهجة الأنوار :

ورؤية الباري من المحال

دنيا وأخرى أحكم بكل حال

لأن من لازمها التميزاً
والكيّف، والتبعيض، والتحيّز
في جمعة تقابل الذي نظر
فهذه وما أتى من السور

من قول «لا تدركه الأبصار»
«ولن تراني» فانتفى الإبصار
لأنها مدح له ولا يصح
زوال ما به الله أمثدح .

- رؤية الله سبحانه وتعالى - وهي الإبصار بالعين
المجردة - عند الإباضية مستحيلة على الإنسان في الدنيا
والآخرة، اعتماداً على أدلة القرآن والسنة تطعية صريحة،
واستناداً الى حجج عقلية قوية .

وقد وقع خلاف بين الفرق الكلامية حول هذه المسألة
وهي من أهم القضايا التي دار حولها نقاش طويل وما يزال .
وعلى أساسها طالما سارع هذا الفريق أو ذاك الى تكفير الرأي

المخالف مما أوقع المسلمين في جدال كلامي حاد أدى بهم في بعض الأحيان الى فتنة عمياء ، وقطيعه مزمنة .

ومن يستعرض كتب الإباضية في القديم والحديث يلحظ إجماع علمائهم على استحالة رؤية الباري دنيا وأخرى .

- والناظر في كل هذه النصوص يتبين بوضوح التفاعل الكبير مع مدرسة الإعتزال التي تثبت نفس الموقف مع العلم أنه يصعب أن نقرر من الأسبق ، وإن كان الإمام عبدالله بن إياض أشار الى هذه القضية من زمن مبكر . . وقد تجلت آراء الإباضية صريحة خاصة في الجامع الصحيح للربيع بن حبيب .^(١)

وقد جمع آراء الإباضية وحججهم العقلية والنقلية ، الشيخ السالمي في بهجة الانوار حيث يقول :

ورؤية الباري من المحال

دنيا وأخرى أحكم بكل حال

لأن من لازمها التحيزاً

والكيف والتبعيض والتمييزاً

في جهة تقابل الذي نظر

فهذه وما أتى من السور

من قول «لا تدركه الأبصار»

«ولن تراني» فانتفى الإبصار

لأنها مدح له ولا يصح

زوال ما به الله امتدح

لو جاز أن يزول مدحه لزم

تبديل عزّه بذل وشتم^(١)

ويتفق الإباضية والمعتزلة على تحديد تسعة شروط

للرؤية وهي:

١ - سلامة الحاسة .

(١) بهجة الأنوار، ص ٩ .

- ٢ - كون الشيء جائق الرؤية مع حضوره للحاسة .
 - ٣ - مقابلته للباصرة من الجهات أو كونه في حكم المقابلة كما في المرئي بالمرآة .
 - ٤ - عدم غاية الصغر
 - ٥ - عدم غاية اللطافة
 - ٦ - عدم غاية البعد
 - ٧ - عدم غاية القرب
 - ٨ - عدم الحجاب الحائل
 - ٩ - ان يكون مضيئاً بذاته أو بغيره .
- وبما أن هذه الشروط لا تعقل الا في جسم أو عرض ،
والله تعالى ليس كذلك ، فهي أقوى دليل على استحالة
الرؤية في الدنيا والآخرة .^(١)
- وفي الجامع الصحيح الجزء الثالث^(٢) حجج نقلية

(١) الشيخ السامي ، مشارق أنوار العقول ، ص ١٩٨ .

(٢) مسند الإمام الربيع بن حبيب ، معتمد الإباضية في الحديث .

تحمل وجهة نظر الإباضية في نفي الرؤية وهي رد في الوقت نفسه على بعض الأدلة التي تعتقد بعض الفرق الإسلامية أنها تؤيد وجهة نظر المثبتين للرؤية.

وقد رد الإباضية على الدليل النقلي المعتمد عند مثبتي الرؤية وهو قوله تعالى **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ** (٢٢) القيامة/ ٢٢، ٢٣ بقولهم:

أما عن النظر في اللغة، فقال الربيع: إن النظر هو الانتظار لقول الله عز وجل **مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَحَدَّةً تَأْخُذُ هُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ** (٤٩) يس

يعني ما ينتظرون وليس بمعنى النظر بالإبصار. وقال عز وجل **وَمَا يَنْظُرُهُمْ إِلَّا الصَّيْحَةُ وَحَدَّةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ** (١٥) وقال **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ**.

الأنعام/ ١٥٨. ومصدق ذلك في اللغة قول القائل إني أنظر إلى الله ثم إليك، يعني ينتظر ما يأتيه من قبله.

والرؤية قد تكون بغير البصر قال الله عز وجل **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا مِّنَ الْفِرْقَانِ** ٤٥.

وقوله أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ يَس / ٧٧ .
وانما يعني بهذا كله واشباهه العلم واليقين ولا
يريد رؤية الأبصار .^(١)

- على أن الإباضية والمعتدلين منهم خاصة لا يمتنعون أن
يكون معنى الرؤية هو كمال العلم به تعالى ، ومعرفة الله
بالبصيرة القلبية ، فإذا كان هنالك حالة لا تدخل تحت قيود
الإدراك الإنساني عن طريق حاسة البصر المعهود لدى
الإنسان ولا تؤدي الى التحديد والتشبيه فلا مانع من ذلك
وهذا ما لم يشته النص ، ولا سلم به العقل .^(٢)

- وهكذا نرى من خلال فهم الإباضية لهذه النصوص
السمو العقلي ، والحرص على التنزيه المطلق للذات العلية ،
والتعمق في فهم أسرار اللغة العربية التي نزل بها القرآن
بادراكهم المجازات اللغوية^(٣) والبعد عن الاتجاه التجسمي
الذي لا يؤمن إلا بما هو متصور ومجسم ومحسوس كما
يذهب الى ذلك (الحشوية) ومن لف لفهم .

(١) الشيخ نور الدين السالمي ، الجامع الصحيح ، الجزء الثالث ، ص ٢٦ - ٢٩ .

(٢) عدون جهلان ، الفكر السياسي ، ص ٦٩ .

(٣) اراجع ، الحق الدامغ لفضيلة الشيخ احمد بن حسن الخليلي ، ففيه تفاصيل قوية وعميقة في هذا
الشان .

النشاط التقويمي :

١- ما العلاقة بين هذه المسألة (رؤية الباري وعدم رؤيته) بالتوحيد .

٢- لماذا أجمع الإباضية قديما وحديثا على نفي رؤية الله تعالى دنيا وأخرى .

٣- ما هي الحجج العقلية لمعتقدهم؟

٤- ما الحجج النقلية؟

٥- ما ردهم على من يعتمد الآية الكريمة ﴿وجوه يومئذ ناظره إلى ربها ناظرة﴾

النشاط الدراسي :

١- حلل ما جاء في بهجة الأنوار من أبيات حول نفي رؤية الباري .

وادعم رأيك بالأدلة الشرعية النقلية والعقلية .

٢- يقول بعض كتاب المقالات إن الإباضية متأثرون بالمعتزلة في هذه القضية .

ما ردك على هذه الدعوى؟ أيد وجهة نظرك بالأدلة العلمية.

النشاط الختامي:

١- يقدم الشيخ السالمي في (مشارك أنوار العقول) أدلة عقلية ونقلية قوية تبين وجهة نظر الإباضية في نفي رؤية الباري جل وعلا.

عد إلى هذا المصدر ولخص منه - في عناصر - الحجج التي اعتمدها الإمام السالمي في عرضه لهذه القضية.

٢- في مسند الإمام الربيع بن حبيب بشرح السالمي. الجزء الأول، ص ١٠١. الطبعة الثانية. حديث أخرجه الإمام الربيع، عن مسروق، يعتبره الإباضية من حججهم النقلية، عد إلى هذا الحديث وحلله بأسلوبك، واستخرج منه الأدلة التي تسند وجهة نظر النافين للرؤية.

خلدو منكم في النيران الكبيرة في النار

قال تعالى :

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
أَبَدًا الجن / ٢٣ .

وقال تعالى :

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ
مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ آتِلٍ
مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
يونس / ٢٧ .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

«من قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها في النار خالدا
مخلدا، ومن لحس سما فهو يتحسأه في نار جهنم خالدا
مخلدا أبداً» .

قال الشيخ فرحات الجعيري في كتابه «البعد الحضاري
للعقيدة عند الإباضية» «إن أكبر عامل لتخلي المسلمين عن

الأوامر والنواهي هي تسرب مثل هذه العقيدة [عدم خلود مرتكب الكبيرة في النار] عن أهل الكتاب، رغم أن القرآن الكريم يتصدى لها.

ومما يبين حسن أثر هذه العقيدة عند الإباضية، القاعدة التي تقوم عليها فقه العبادات والمعاملات والسلوك عندهم، وهي ما يسمونه الأخذ بالأحوط ويعتبره غيرهم من باب التشدد والغلو في الدين.

- وهذه قضية ثانية اختلف فيها الإباضية مع الفرق الإسلامية، ولهم فيها رأي واضح يعتمد على الحجج العقلية والنقلية، وله إلى جانب ذلك أثره البعيد في البناء الحضاري الإسلامي.

ويُبنى هذا الحكم عند الإباضية - أي الحكم على العصاة غير التائب بالخلود في النار - على أصل عقدي واضح عندهم وهو الفرز ما بين كبائر الشرك والنفاق ويقول الشيخ الجيظالي في قواعد الإسلام.

«وذلك واجب على المكلف، قال أصحابنا من لم يفرز بين كبائر الشرك وكبائر النفاق فهو مشرك، والشاك في شركه

مشرك . قالوا لأن كثيراً من الناس ضلوا من قبل فرز ما بينهما ، فزعمت الأزارقة أن المعاصي كلها كبائر وشرك وكفر ، واستدلوا بقوله تعالى ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ وقالت النجدية منهم : الكبائر كلها شرك ، وأما الصغائر فلا . وزعمت المعتزلة أن كبائر النفاق فسق وضلال وليست كفراً ولا شركاً وقالت المرجئة بالشك في وعيد مرتكبي كبائر النفاق ، وقال أصحابنا (رحمهم الله) أن الكبائر كلها كفر ، والعقاب عليها واجب ^(١) .

- وهم يبنون هذه النظرية على معتقدهم الذي أوضحناه المسمى عندهم « لا منزلة بين المنزلتين » . . أي أن الإنسان إما أن يكون مؤمناً موفياً بدينه مرضياً عنه أو يكون كافراً ، ولكنهم يقسمون الكفر إلى قسمين : - باعتبار مرتكب الكبيرة - كافر كفر نعمة وهو ما تطلق عليه الفرق الأخرى المؤمن العاصي أو الفاسق ، وكافر كفر جحود أو كافر كفر شرك .

أما كفر النعم فهو ما نشأ عن تأويل الخطأ كاستحلال ما حرمه الله تعالى بتأويل الخطأ من فاعله أو قائله كخلاف

(١) الشيخ اسماعيل الجبيلي ، قواعد الإسلام ، الجزء الأول ، ط ٢ ، ص ٣٨ .

جميع المسلمين . وما فعل انتهاكا كمقارفة شيء مما أوعده الله على فعله النكال في الدنيا ، والعذاب في الآخرة .

وكفر النعمة عند الإباضية سمي بالنفاق أي أن الكافر كفر نعمة يسمى منافقا وهو نوعان التكذيب بالقلب مع الإيمان باللسان وهذا النوع هو الذي جاء فيه قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ .

وثانيهما هو ارتكاب شيء من الكبائر كما يرشد إليه الحديث القائل آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان .

- وبناء على هذا التقسيم الثنائي فإن الجزاء الأخروي يكون كذلك إما جنة ونعيم ، وإما عذاب مقيم . ومسألة الخلود هذه لها علاقة بالعدل الإلهي والوعد والوعيد كما اشرنا الى ذلك في مكانه من هذا الكتاب . فالجزاء عند الله نوعان لا ثالث لهما لقوله تعالى فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ هود/١٠٨ .

وبناء على هذا يكون مصير العبد الذي مات على كبيرة
 - دون توبة تعنتا وعصيانا - جهنم خالداً فيها . وإذا كان من
 معاني الخلود طول المكث فإن الأبدية تعني اللانهاية ودفعاً
 للإلتباس أكد الله تعالى طول المكث في النار بالبقاء الأبدي
 كما جاء ذلك في محله **وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ**
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا الجن / ٢٣ .

- ويوافق الإباضية في هذا الرأي المعتزلة والخوارج ،
 بينما يرى الأشاعرة أن العدل الالهي يقتضي التمييز بين
 الموحد العاصي الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وبين
 المشرك الذي لم تصدر عنه حسنة واحدة ، وعلى ذلك فلا
 يعقل أن يجتمع الموحد والمشرك تحت حكم واحد ،
 ويخلدان في العذاب معاً إلى الأبد ، ومخرج ذلك - في
 رأيهم - أن ينال العاصي نصيبه من العذاب إلى أن يستوفي
 مقدار ذنبه ثم يلتحق بالسعداء في الجنة ^(١) .

- ونحسب أن من أهم الأصول تأثيراً في سلوك
 الإباضية الملتزمين مبادئ مذهبهم هذا الأصل الذي يربط
 بين عمل العبد في الدنيا وجزائه في الآخرة ، هذا الاعتقاد

(١) الفكر السياسي ، ص ٧٠ .

الذي يضع بين عيني المسلم دوماً ألا دار للمطيعين إلا الجنة
خلوداً أبدياً، وألا دار للعصاة إلا جهنم خلوداً أبدياً،
فينعكس هذا الاعتقاد في معاملته مع ربه ومع الناس ويعلق
نفسه بين إحساسين رجاء عفو الله ورضائه فيأمل، والخوف
من عقاب الله وسخطه فيحذر، وليس اعتباطاً أو مصادفة
أن تتفق المصادر القديمة والحديثة التي كتبت عن الإباضية
على تميزهم بالسلوك الحسن والالتزام الصارم بتعاليم
الشريعة السمحة، وما على المرء المنصف إلا أن يدرس
تاريخهم الطويل أفراداً وجماعات، حكماً ومحكومين
ليتيقن من ذلك. ولا نقول هذا من قبيل التزكية فإننا لا نزكي
على الله أحداً، وإنما نقول ذلك من باب التحليل والتعليل،
وإطلاق الحكم على الأغلبية الملتزمة، ولكل قاعدة استثناء.

- إن الاحساس الذي يصحب النفس بأن عقاب الله
للعاصي أبدي لا يسلم منه إلا بالتوبة النصوح، والإسراع
إلى التوبة كلما بدر منه عصيان، هو الذي يدفع أو يغالب
وساوس الشيطان الأماراة بالسوء.

- ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نغفل عن الأصول
الأخرى المرتبطة بهذه القاعدة وهي التي يمتاز بها هذا المذهب

عن غيره «كوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي، وتطبيق ذلك في مسألة الولاية والبراءة والوقوف، وكالقاعدة الأخرى الهامة التي تجعل الإيمان لا يتم الا بالعمل فلا يجد العاصي مستنداً يستند إليه بينه وبين نفسه أو بينه وبين الناس، ولا يحق له ان يطمع في دخول الجنة بقول لا اله الا الله محمد رسول الله دون ان يقرن ذلك بالعمل الصالح، كما لا يحق له أن يأمل في الخروج من العذاب الأليم وقد قدم على ربه مرتكساً في عمله مرتعها بذنبه. ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

وبناء على هذه الأسس التي يراها الإباضية من قواعد الدين كانت أعمالهم صوراً حقيقية لمبادئهم وعقائدهم^(١). مما دفع الكثير من كتب عنهم الى أن يرميهم بالتشدد، والتزمت، والإنغلاق، وما أشبه من دعاوى باطلة.

(١) الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، ص ١٢٦.

النشاط التقويي :

١- ما حكم الإباضية على مرتكب الكبيرة إذا مات من غير توبة؟

٢- ما مكانة هذا المعتقد في كتب العقيدة عنهم؟

٣- ما معنى كلمة أو مصطلح الفرز؟

٤- هات أهم أقوال الفرق الإسلامية في هذا الشأن؟

٥- بماذا تربط هذا الأصل عند الإباضية؟

٦- وضح المصطلحات التالية: الجحود، النفاق، كفر النعمة؟

٧- هات بعض الآيات الكريمة الدالة على سلامة ما ذهب اليه الإباضية؟

٨- هات بعض الحجج العقلية المؤيدة لما ذهب اليه الإباضية؟

٩- هل من رابط بين السلوك اليومي للمسلم، وبين معتقد من يرى أن المسلم العاصي لا يخلد في النار ولو مات

من غير توبة؟

١٠ - أربط بين هذا الأصل ، وبين الولاية والبراءة ،
والإيمان عقيدة وقول وعمل .

النشاط الدراسي :

١ - عد الى كتاب البعد الحضاري للشيخ فرحات
الجعبري الصفحة ٧٥٧ ، وما بعدها . ولخص منها المواقف
التي انعكست فيها صحة هذا المعتقد (أي خلود مرتكب
الكبيرة في النار) على سلوك بعض الحكام والقادة والولاة .

٢ - للشيخ محمد عبده تحليل رائع لما تورثه عقيدة
الخروج من النار من الاستبداد والقتل والاستغلال لدى أهل
السياسة في كل عصر ، لخص هذا التحليل بأسلوبك
وفهمك (عد الى تفسير المنار الجزء ٥ / الصفحات ٣٤٤ -
٣٤٥ .

النشاط الختامي :

١ - عد إلى القرآن الكريم واستخرج منه بعض الآيات الصريحة الدالة على خلود مرتكب الكبيرة في النار . واستعن في تحليلك لها بما جاء في كتاب في «ظلال القرآن» للشهيد سيد قطب .

٢ - عد إلى كتاب سماحة الشيخ أحمد الخليلي «الحق الدامغ» ولخص منه رأيه في موقف الإباضية في هذا الشأن، والمهم أن تقارن المبادئ بالواقع المعيش بأسلوب تحليلي .

الشفاعة

٥٣٧.

قال الله تعالى:

وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
البقرة/ ٤٨.

جاء عن جابر بن زيد عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». . .
يحلف جابر عند ذلك، ما لأهل الكبائر شفاععة لأن الله أوعد الكبائر النار في كتابه.

وقال عليه السلام:

«وَلْيَذَاذَنَّ رَجُلٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَاذِنُ الْبَعِيرُ الضَّالَّ، وَأَقُولُ: هَلُمَّ، أَصْحَابِي، أَصْحَابِي.» فيقال لي: «فد غفرو قد غفروا بعدك ولم يزوالوا مرتدين علي أعقابهم، فأقول سحقا، سحقا، فاختلجوا دوني، فيمُرُّ بهم ذات الشمال.»

قال الشيخ فرحات الجعيري في (البعد الحضاري).
ص ٧٦٥.

«الحقيقة إن المسلم الحق، لا ينبغي أن يستغل جانب العفو الإلهي وشفاعة المصطفى ليشتبع شهواته مما أراد، وربك في النهاية غفور رحيم، ولا يمكن بحال أن يرد شفاعة النبي فيمن في قلبه دون الذرة من الإيمان.. بل يحب أن يزداد بذلك شكرا لله تعالى فيقبل على طاعته، وينتهي عن نواهيه. وبذلك لا يكون من الذين يأمنون مكر الله، لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.»

- الشفاعة لغة الوسيلة والطلب، وعرفاً سؤال الخير من الغير للغير.

وشرعاً: طلب تعجيل دخول الجنة، أو زيادة درجة فيها من الرب عز وجل لعباده المؤمنين، فتكون للأنبياء وغيرهم، ويختص نبينا عليه السلام منها بخصله هي تقدمه إليها قبل كل شافع، فلا يفتح بابها إلا له ثم من بعده يشفع من شاء الله أن يشفع. قيل وهي المقام المحمود الذي في قوله تعالى 'عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا' الإسراء/ ٧٩. أي يحمذك فيه الأولون والآخرون حيث لم

يجدوا قبلك شافعاً^(١) .

- الواقع إن هذه القضية ليست أساسية لو لم تكن لها ذات علاقة بقضية أخرى مر الحديث عنها، وهي حكم مرتكب الكبيرة أهو مخلد في النار أم لا؟ وارتباطها أيضا بقضية الوعد والوعيد .

فالإباضية القائلون بإنفاذ الوعيد لا يعتبرون أن في الشفاعة دفعا للضرر إلا في مستوى الدنيا أما في مستوى الآخرة فهي زيادة في جلب النفع، في حين نجد فهم الفرق الأخرى للشفاعة على أنها متمثلة في جلب النفع، ودفع الضرر، وهذا يتماشى بطبيعة الحال مع فهمهم للوعد والوعيد .

- والمتأمل في فهم الفرق الإسلامية للشفاعة يجدها تقف منها موقفين شفاعة متفق عليها، وشفاعة مختلف فيها .

يقول القاضي عبد الجبار : لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) ثابتة .

(١) مشارق أنوار العقول، ص ٢٨٧ .

والمتفق عليه نقطتان :

أ - الشفاعة العظمى : أو المقام المحمود ، وتكون في المحشر عندما يطول الإنتظار فيلجأ الصالحون الى الأنبياء واحداً واحداً فيعتذرون الى أن يصلوا إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) فيستجيب لهم ويدعوه ربه فيأذن لهم بدخول منازلهم في الجنة .

ب - الشفاعة بمعنى رفع الدرجات في الجنة كما ذكر في تعريفها ، ويجيب القاضي عبد الجبار على هذا السؤال :
أتصح الشفاعة في مزيد التفضل لمن حالته موفورة في النعم ؟
يجيب بما يلي : « قيل له نعم وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه بقوله وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى الْإِنبِيَاءُ / ٢٨ .

- والإباضية حين يعتبرون الشفاعة لا يتجاوزون بها هذا التحليل إلى مفاهيم أخرى كما تذهب بعض الفرق الأخرى التي تزعم أن الشفاعة تعم أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء هذا الشرح في بهجة الأنوار حيث يقول الشيخ السالمي .

شفاعة الرسول للتقي

من الوري وليس للشقي

ومن يقل بغير ذا فقد كفر

كفر نعيم أو تأول ظهر

الشفاعة حق، والإيمان بها واجب، ووقوعها في المحشر قبل دخول أحد الفريقين مسكنه، وهي مخزونة حتى يأتيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيكون أول من تجعل له، ثم للأنبياء من بعده، وهي المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به.. وثبوتها للمؤمن لا لغيره من أهل الكبائر^(١).

ويقول الشيخ إسماعيل الجيطالي «والشفاعة ليست لمن استوجب العقاب فيصير بها إلى الثواب، ولكن الشفاعة للمؤمنين للزيادة لهم في الثواب، وتشريف في المنازل»^(٢).

ويدعم الإباضية معتقدهم هذا بأدلة من الكتاب والسنة.

(١) بهجة الأنوار، ص ١٠٦.

(٢) الفناطر، ط ٢، ج ١، ص ٣٢١.

فمن الكتاب قوله تعالى: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ
أَرَادَ أَنْ يَنْصُرَ ۚ ٢٨ .

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم «ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي» وذكر جابر رضى الله عنه، انه لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفخذ أفخاذ قريش فخذافخذا، حتى أتى على بني عبد المطلب، فقال «يا بني عبد المطلب، إن ربي أمرني أن أنذركم، ألا واني لا أغني عنكم من الله شيئا، ألا وإن أوليائي منكم المتقون، ألا لا عرفن إذا ما جاء الناس غدا بالدين وجئتم بالدنيا تحملونها على رقابكم، يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمة محمد، اشتريا أنفسكما من الله، فاني لا أغني عنكما من الله شيئا».

وهذا الحديث الشريف يعد واضحا قويا في حجتيه على أن الشفاعة لا تشمل أصحاب الكبائر.

وللفرق الأخرى أدلتها التي تسند وجهة نظرها من الكتاب والسنة والقضية خلافية.

ويعتبر الإباضية هذه المسألة من أصول الدين لعلاقتها

الوطيدة بالخلود في النار كما سبق وهذا موقف متأصل عند الإباضية يرجع الى أمامهم جابر بن زيد حيث كان يحلف أنه ما لأهل الكبائر شفاعة لأن الله أوعدهم النار في كتابه .

ومهما يكن من أمر فإن الشفيع الحق للمسلم الموفي بدينه هو عمله الصالح والشافع الحق هو رب العالمين حيث يقول الله: الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ السجدة / ٤

النشاط التقويي:

- ١ - عرف الشفاعة، لغة، وعُرفاً، وشرعاً.
- ٢ - ما موقف الإباضية من هذه المسألة؟
- ٣ - بماذا ترتبط هذه القضية من الأصول السابقة . وما العلاقة بينها؟
- ٤ - عدد مواقف الفرق الإسلامية من هذه القضية وشرحها .

٥- ما الشفاعة المتفق عليها؟

٦- ما الشفاعة المختلف حولها؟

٧- ما الأدلة الشرعية من الكتاب ومن السنة التي يعتمد عليها الإباضية .

٨- هل هناك أدلة عقلية تؤيد وجهة نظر الإباضية؟
أذكرها؟

٩- ما البعد الحضاري لهذه المسألة؟

١٠- كيف ترى الشفيع الحق للإنسان دنيا وأخرى؟

النشاط الدراسي :

١- عد الى تيسير التفسير للشيخ القطب محمد

اطفيش ، واستخرج منه شرحه للآيات المتعلقة بموضوع
الشفاعة .

النشاط الختامي :

يعتمد الأشاعرة في شمولية الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد على حديث يروونه وهو «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

استعن بمشارق أنوار العقول . أو بأي مصدر إياضي آخر تراه صالحا للرد على هذا الفهم ، وأيد موقفك بالحجج النقلية والعقلية .

خاتمة

وبعد : فإن الدارس المتمعن عند ما ينظر إلى الجوانب التي اهتم بها «علم التوحيد» عند الإباضية يدرك حرصهم على التنزيه المطلق للباري جل وعلا ، يدرك هذا من ربطهم الصفات بعين الذات ، ومن ردهم الحازم لكل النظريات الموحية بالتبين والتجسيد والتحيز وما أشبه .

لذا فهم يؤلون الآيات التي ذكرت فيها عين الله ، أو وجهه ، أو يده بما يوافق ونفي الشبيه لله عملا بقوله ﴿ليس كمثله شيء﴾ وهم لهذا المنحى عندهم يقولون بالمجاز في القرآن ويقفون في طرف مقابل لمن ينكر المجاز ، وهذا الحرص نفسه هو الذي جعلهم يردون بحزم أيضا كل الأقوال القائلة برؤية الباري جل وعلا أكان ذلك في الدنيا أم الآخرة . مستندين بطبيعة الحال إلى أدلة نقلية وعقلية .

كما يلحظ الدارس فهمهم الصحيح للعقيدة على أنها أساس للسلوك اليومي للمسلم فهي جزء لا يتجزأ عن السلوك العملي ، فالإيمان عندهم عقيدة + قول + عمل ، لا انفصال

ولا انفكاك بين هذه العناصر . ومن هذا المفهوم فإن الوعد والوعيد ثابتان لا يخلفان ، فكما وعد الله المطيع بالجنة كذلك أوعد العاصي بالنار ، إن هو مات بغير توبة وهو مخلد في النار لا يشفع له في ذلك أنه موكل كما تذهب إلى ذلك بعض المذاهب . ولذا فهم يرون أن شفاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المؤمنين هي بطلب التعجيل لهم بدخول الجنة فالشفاعة عندهم للتقي من الورى وليس للشقي .

وما تدقيقهم بوضع شروط للولاية والبراءة والوقوف وحرصهم على اعتبارها أصلا من أصولهم العقدية الا تغيير واضح للربط بين العقيدة والسلوك اليومي جملة وإفراداً ، وهذا يدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يقوم أساس الأمة الإسلامية إلا عليه . ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهذا التصور لمكانة العقيدة في الحياة اليومية للمسلم أدى بهم إلى عدم الفصل في مجتمعاتهم بين ما هو من قبيل العبادات كالصلاة والزكاة وما هو من قبيل المعاملات كالشورى والعدالة الاجتماعية ، ولذلك أولوا نظام الحكم أهمية كبرى فوضعوا للإمامة شروطاً قاسية دقيقة ذات بعد حضاري

أصيل تتماشى مع كل حالة يكونون عليها . ظاهرين
منتصرين أم مغلوبين مقهورين .

وهذا المفهوم يرتبط أساسا بعدم الفصل بين ما هو من قبيل
السياسة والحكم ، وما هو من قبيل العبادة ، انطلاقا من
شعارهم الذي رفعوه منذ التكون السياسي الأول . « لا حُكْم
إلا الله » أو « لا حُكْم إلا لله » .

وهم مثل غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى حريصون
على إسناد وجهات نظرهم واجتهادهم وآرائهم إلى الحجج
النقلية من القرآن والسنة والعقلية باستخدام العقل والمنطق
ولهم في ذلك قواعد ثابتة تتجلى في اهتمامهم البالغ بهذا
العلم الذي يسمونه « علم التوحيد » .

المراجع

- الإباضية في موكب التاريخ - علي يحيى امعمر - مكتبة

مكتبة الفتاوى للنشر والتوزيع السليب - سلطنة عمان ١٤١٤ هـ

- بهجة الأنوار - نور الدين السالمي نشر معهد القضاء الشرعي

- مسقط - سلطنة عمان ط ١ ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.

- البعد الحضاري للعقيدة الإباضية - فرحات الجعيري -

جامعة السلطان قابوس - مسقط - سلطنة عمان

١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

- التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين - د فاروق عمر،

دار إقرأ - بيروت لبنان - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.

- الجملة وتفسيراتها - شرح الشيخ الخليلي - مكتبة الإستقامة

- سلطنة عمان ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

- الحق الدامغ - الشيخ أحمد الخليلي،

مكتبة الفتاوى للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ

- حلقة العزابة - د. محمد ناصر - مَكْتَبَةُ الضامري للنشر والتوزيع - سلطنة عمان، ١٩٨٩ م.

- الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، عدون جهلان - مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة: العلامة جميل بن خميس السعدي، نشر وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان - ط ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

- غاية المراد - شرح الشيخ أحمد الخليلي لقصيدة الشيخ سليمان بن محمد الكندي في العقيدة، مخطوط بحوزة المؤلف.

- قناطر الخيرات: الشيخ اسماعيل بن موسى الجيطالي - نشر وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان ط ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- قواعد الإسلام، صححه وعلق عليه بكلي عبدالرحمن بن عمر، الشيخ اسماعيل الجيطالي - المطبعة العربية غرداية - الجزائر ١٩٧٦ م.

- كتب مختارة [في التوحيد والعبادات] - قبة من قباب -
مجموعة من الشيوخ - المطبعة العربية - غرداية - الجزائر
(د. ت.)

- مسند الإمام الربيع بن حبيب وشرحه الجامع الصحيح
للشيخ نور الدين السالمي، الناشر: مكتبة الإستقامة،
مسقط - سلطنة عمان - (د. تا)

- مشارق أنوار العقول - نور الدين السالمي - مكتبة
الإستقامة، روي - مسقط - سلطنة عمان - طبع دار
الجيل - بيروت - لبنان ط ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

- المصنف للعلامة أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى
الكندي النزوي، نشر وزارة التراث القومي والثقافة -
سلطنة عمان ط ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

- مقدمة التوحيد وشرحها - أبو العباس أحمد بن سعيد
الشماخي، وأبو سليمان داود التلاتي. تعليق أبو
إسحاق إبراهيم أطفيش الجزائري ١٤٠٩ هـ - مسقط -
سلطنة عمان.

- المنظومة النونية في العقيدة للشيخ أبي نصر بن نوح
الملوشاني وشرحها المسمى بالنور تأليف الشيخ ضياء
الدين، عبد العزيز الثميني الطبعة الحجرية - المطبعة
البارونية - القاهرة - مصر سنة ١٣٠٦ هـ حوالي
١٩٨٥ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
التوحيد	٨
القضاء والقدر	١٦
العدل والوعد والوعيد	٢٤
الولاية والبراءة والوقوف	٣١
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٤٤
المنزلة بين المنزلتين	٥٠
لا منزلة بين المنزلتين	٥٥
الأسماء والأحكام	٦٣
الإمامة وشروطها	٧٠
مسالك الدين	٨١
نفي رؤية الباري	٩٤

١٠٣ خلود مرتكب الكبيرة في النار

١١٣ الشفاعة

١٢٢ خاتمة

١٢٥ المصادر الأساسية

١٢٩ فهرس الموضوعات

.....

.....

.....

.....

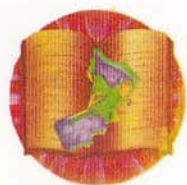
.....

.....

.....

.....

.....



سلطنة عمان
المركز الثقافي العربي للبحوث والتوثيق
السبب ص ٢٠٠٠ العدد ١٢١